

دَعْوَةُ الْحَقِّ

السنة الثامنة - العدد ٨٨ - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

نور من القرآن

في طريق الدعوة والدعاة

بقلم

د. محمد الحسين أبو سم

تصدرها رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء ودعاء

إلى نَبِيِّ الحنان اللذين قدَّما لي أُنْبَغ ثمار الإيمان ، حيث
وجَّهاني إلى حفظ القرآن ، ودراسة علومه في معاهد مختلفة ،
إلى أن جاءت هذه الثمار التي أهديتها لهما في شكل دعاء وأمل ،
ورجاء وتضرُّع إلى الله أَنْ يتفَضَّل عليهما بفيضٍ من رحمته :
«رب ارحمهما كما ربياني صغيراً» .

كما أهدى هذه الثمار إلى مُعلِّميَّ وأساتذتي الأجلاء ؛ بدءاً
بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم ، ومروراً بالمدرسة الابتدائية ،
والمعاهد العلمية ، ثم جامعة أم درمان الإسلامية ، وانتهاءً
بجامعات مصر العتيقة .

وأرجو أن أكون بهذا الإهداء قد وفيت بعضَ ما علىَّ من
دينٍ لوالديَّ وأساتذتي الأجلاء ، آملاً من كل قارئ هذه
القبسات من نور القرآن الكريم أَنْ يدعُو لي ولهم وللمؤمنين
والمؤمنات ؛

«رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين
والمؤمنات» .

محمد الحسين أبوسم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ، نبينا محمد بن عبدالله ، وبعد :

فإذا كان خير ما يخدم الإسلام هو التعريف به في أمانة وتجرد وموضوعية ، فإن خير ما يخدم القرآن الكريم وينفع الناس به هو التعريف به ، ومحاولة اكتناؤه أسراراً ، ببيان أهدافه ومراميهِ ووسائله في الدعوة إلى مقاصده .

وأعتقد أن هذا البيان وذاك التعريف هما خير مدخل للعمل في مجال الدعوة إلى الله ؛ إذ سيكونان تكأةً للقبسات المضيئة والتي سنستمدّها من القرآن الكريم بإذن الله .

ومن ثم رأيت أن أجعل عنوان هذا البحث :

«نور من القرآن الكريم في طريق الدعوة والدعاة»

وذلك تمثيلاً مع قول الله عزّ وجلّ : ﴿لقد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين- يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم﴾^(١) .

وهداية القرآن الكريم ليست مقصورة على قوم دون قوم ، أو فئة دون فئة ولكنها للإنسانية جمعاء ، إذا آمنت به وترسمت خطاه ، ومن ثم كان استبعادى للتعريف الذى ذكره المناطقة للقرآن ، وكانت دعوتى إلى التعريف بالقرآن تعريفاً يكشف عن مناحى هذه الهداية ويوضح صلة القرآن الكريم بجميع جوانب الحياة ، وليس التعريف الذى يحصره في دائرة الذهنية أو دائرة المطارحات الفكرية ثم التلاوة والترديد ، لأن القرآن كتاب هداية

(١) المائدة : ١٥ - ١٦ .

لجميع البشر .

أما اقتصارنا في عنوان هذا البحث على الدعاة فليس معناه التمييز أو الإخراج لفئة أو فئات والاقتصار على فئة أو فئات ، ولكن قصدنا من ذلك الإشارة إلى أن كل مؤمن إنما هو داعية إلى الله ، أو هكذا يجب أن يكون ؛ ذلك لأن كل مؤمن لا يخلو من مسئولية ، وذو المسئولية راعٍ وكل راعٍ مسئولٌ عن رعيته ، وأولى تلك المسئوليات مسئولية النفس وجهادها ، أو مجاهدتها وجهاد هواها ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ ^(٢) ثم مسئولية الأهل والعشيرة وجهاد هوى نفوسهم الأمانة بالسوء ، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(٣) وقال الشاعر :

أبدأ بنفسك وأنها عن غيها

فإذا انتهت فانت حكيم

وذاك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو لب لباب الدعوة إلى الله ، ومن ثم جاء الحديث عن هذا الجانب في أكثر من موضع في هذا البحث ، وكانت الإشارة إلى أن جميع المؤمنين كانوا ولا يزالون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولكن قد تضيق دائرتها عند أناسٍ فلا تتعدى حدود النفس أو الذات ، وتتسع الدائرة عند آخرين فتشمل المجتمع بأسره بغية التغيير والتأثير في بناء المجتمع وتوجيهه نحو الخير والحق والعدل ، بينما تتلاشى الدائرة عند طائفة ثالثة ، فتصبح صفراً يرمز إلى خوائية المجموعة ويؤكد أنها في حاجة إلى من ينتشلها من وهدهدتها .

ولكن كيف يكون هذا الانتشال ؟ أو كيف يكون إخراج

(٣) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) النازعات : ٤١ .

تلك المجموعة ؟

من وحل الغواية والضلال ؟ علماً بأنه ليس في الكون كله شيء أصعب مراساً من الإنسان ، فهو عصي الانقياد كثير اللدد واللدجاج ، لا يلتق قياده إلا لهواه ، ولا يستسلم إلا لشهواته ، وما أطوعه لنداء قلبه إذا ناداه ودعاه ولو إلى الارتكاس في وحل الغواية والضلال ، إذن كيف يكون الانتشال للمرتكس في وحل الضلال ؟

مقدمات هذا البحث ونتائجته تؤكد أن ذلك يتم عن طريق الدعوة إلى الله المرتكزة على منهج القرآن الكريم والمستضيئة بنوره الذي سيبدد - بإذن الله - دياجير الجهل والتخلف والخرافة ، وزيل كل تعتم مصطنع ، مما يمكن جميع أفراد المجتمع المؤمن من التوجه بإذن الله - نحو العدل والخير ، فيشيع بين أفرادها الإيمان الحق والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، دون تشدد ، ودون جنوح إلى التكفير للمجتمع بأسره ، أو ميل إلى الهجرة عنه .

وخاصة من الداعية المخلص ، هو كالشمس تطلع من هنا وتخرج من هناك لتضيء للإنسانية جمعاء دون استثناء ، ومن ثم قررنا أن الانكماش أو السلبية لا تعبّر عن أية ثمرة إيمانية ، بل تتنافى مع الإيمان الحق ، لأن ثمار الإيمان لا تختفى ولا تختص بفئة دون فئة ، كالشمس لا تميز بين قوم دون قوم ، ولكنها تسير وفق قانون رباني ، كذلك الداعية يجب أن ينطلق هنا وهناك وفق التوجيه الرباني ، وله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، حيث كان يتصل بكل الناس ، الأمين وغير الأمين ، والمهتدين وغير المهتدين ، وكان يقول من يحملني إلى الناس حتى أبلغ دعوة ربي ؟ وكم عانى في سبيل ذلك ، فني ثقيف مثلاً قذفوه بالحجارة فأصابته الحجارة

رأسه وقدميه ، بل أصابت كلماتٌ نابيةً أذنيه ، وهى فى وقعها أشدُّ من وقع الحجارة ؛ لأنَّ جرح اللسان أنكى من جرح السنان ، لا سيما إذا كان ما يقال محض افتراء وأباطيل وكان القول من الغلمان والسفهاء .

فإذا فعل الرسول ﷺ تجاه تلك الحرب الضروس والحملة الشعواء من كبراء القوم والسفهاء ؟ هل استسلم فانصرف عن دعوته ؟ أم انكش وانزوى مكتفياً بما يدور فى مكنونات ضميره ؟ كلا ، لا هذا ولا ذاك ، لكِنَّه ثبت وصبر سالكاً فى دعوته كلَّ السبيل المتاحة قائلاً : (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أدع هذا الأمر ما تركته) فكان قدوةً ومثلاً أعلى للذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ، ومرشده فى ذلك كله وهاديه القرآن الكريم : ﴿ واثْبِرْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ ^(٤) ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٥) ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ^(٦) ﴿ وَلَنصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أَدْثَمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ^(٧) ﴿ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يَمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ ^(٨) ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ^(٩) .

ثم ماذا كان بعد ذلك ؟ كان ما يعجز عن تصوُّره الفكر البشرى المحدود المكدود ؛ إذ تمت بفضل الله انتصارات عديدة ، منها : أن هدى الله إلى الإسلام أحد العمرين اللذين كانا يحاربان الإسلام فى

(٧) إبراهيم : ١٢ .
(٨) آل عمران : ١٢٥ .
(٩) الرعد : ٢٤ .

(٤) يونس : ١٠٩ .
(٥) النحل : ١٢٧ .
(٦) الكهف : ٢٨ .

ضراوة وشراسة ، وكان أن خرج من ثقيف التي ألحقت الأذى برسول الله ﷺ محمد ابن القاسم الثقفي الذي فتح الهند ، ولا يزال اسمه يجري على لسان كل هندي تقريباً .

وهكذا يستطيع دعاة اليوم أن يستخرجوا من البيئات المجذبة المقترة أناساً تنفّرح صدورهم للإسلام فيقبلون عليه ويكونون عوناً للدعاة في تحقيق المهمة المنيطة بهم على أكمل الوجوه واحسنها ، إذا ترسموا خطى الرسول ﷺ في تبليغ دعوته ، وإذا استضاءوا بنور القرآن الكريم ، فابتعدوا عن الغرض والهوى ، وتعاونوا فيما بينهم على ما اتفقوا عليه وعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه ، علماً بأن اختلاف سلفنا الصالح فيما استنبطوه من أحكام لم يكن وليد الهوى والشهوة ، ولا عن زيغ وانحراف ، ولا كان رمية من غير رام ، وإنما كان عن أسباب يعذر لمثلها المخطيء ويؤجر أجراً واحداً ، ويحمد المصيب ويؤجر أجرين بإذن الله تبارك وتعالى .

ولم نتعرض في هذا البحث لأسباب الاختلاف بين الفقهاء من السلف الصالح ؛ لأنه لا يعنينا كثيراً في هذه المباحث ، لكننا ركزنا على تنبيه أدياء المعرفة والذين هم على الدعوة والدعاة محسوبون ، وقد طلبنا منهم أن يتقوا الله في أنفسهم وفي الناس ، فلا يتصدوا للفتيا أو التوجيه والارشاد دون علم ، ودون معرفة تامة تمكنهم من أداء تلك المهمة دون غرض أو هوى ، ودون خطأ أو انحراف ، وخاصة عند الافتاء الذي استهونه كثير من الناس في هذا الزمان ، بينما استعظمه كثير من سلفنا ، وما استعظموه إلا لأن المفتي يوقع عن رب العالمين ، ولهذا ألف ابن القيم كتابه القيم (إعلام الموقعين عن رب العالمين) .

نسأل الله أن يوفقنا وأن يلهمنا الرشد والصواب ...

تمهيد

«تعريف بالقرآن الكريم»

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تعدد أسماء القرآن الكريم .
- ٣ - شبهة التشكيك في القرآن الكريم وردّها .
- ٤ - تكامل الوحي بالقرآن الكريم .

١ - القرآن الكريم ؟

كلمة قرآن في اللغة العربية مصدر من الفعل قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا ، من ذلك قول الله عز وجل : ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرأنه﴾^(١) . أى قراءته ، والقراءة هى ضم الحروف والكلمات بعضها بعضاً في الترتيل .

ذاك هو التعريف اللغوى لكلمة قرآن ، أما في الاصطلاح فقد عرف بأنه : كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بوساطة الأمين جبريل عليه السلام ، المتعبد بتلاوته ، المبدؤ بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس .

(١) القيامة : ١٨ .

ولكننا في صدد التعريف به نقول : هو كلام الله المعجز والموحى به على خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذي أحكمت آياته ثم قُصِّلت من لدن حكيم خبير للتعبد بتلاوتها والعمل بمقتضاها في جميع جوانب الحياة ، في كل زمان ومكان .

فهو إذن دستور حياة المسلمين ، والنبي الذي لا يغيض^(٢) ماؤه والحديد الذي لا تبلى جديده ، هو حجة الله على الناس كافة ، وعلى العرب خاصة ؛ لأنه نزل بلغتهم ، فرغ ذكرهم ، وأعلى مجدهم ، وسوف يسألون يوم القيامة ماذا فعلوا بالقرآن الذي كساهم شرفاً ومجداً ، وجعل لهم بين العالمين ذكراً ، قال تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾^(٣) .

وقد اجتهد الكثيرون من علماء هذه الأمة وأدباؤها وشعرائها وبلغائها وفصحائها في وصف هذا القرآن الكريم ووضع تعريف جامع مانع ينطبق على هذا القرآن وعلى هدايته وما فيه من أسرار واعجاز ، نرجو لهم المثوبة من عند الله على ذلك الاجتهاد - وقد بقيت تعاريفهم تضيء لنا الطريق وفي الوقت نفسه تدل على محدودية العقل البشري ، ومن ثم نرى أن خير تعريف للقرآن الكريم هو ما جاء في وصف المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، نبينا محمد ﷺ ، حيث جاء وصفه تعريفاً للقرآن وتعريفاً بالقرآن لهذه الأمة التي تشرب أعناقها وتهفو أفئدتها إلى هداية القرآن الكريم في مناحي حياتها المختلفة ، وذلك في قول الرسول ﷺ عن القرآن الكريم : (كتاب الله فيه نأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم من

(٢) غاض يغيض بمعنى نقص وانحسر ، منه قوله تعالى ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ وقوله : ﴿وغيض الماء وقضى الأمر﴾ .

(٣) الزخرف : ٤٤ .

بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، وهو الذّكر الحكيم ، وهو الصّراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشيع منه العلماء ، ولا يخلق^(٤) على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عجبا يهdy إلى الرّشد فآمنّا به ﴾ . من قال به صدق ، ومن عمل به به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم^(٥) . هذا الوصف يؤكد أن القرآن ليس للتلاوة والترديد وحسب ، ولكنه دستور وهداية لمن تمسكوا به وردوا إليه كلّ أمورهم ، قال تعالى مشيراً إلى جماع أهداف القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ هذا القرآن يهdy للّتى هي أقوم ﴾^(٦) .

وهداية القرآن ليست مقصورة على قوم دون قوم ، ولا على فئة دون فئة ولكنها للإنسانية جمعاء قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾^(٧) . واخراج الناس من الظلمات إلى النور لا يكون لمجرد اقتناء القرآن المكتوب فى المصاحف ، ولا يكون لمجرد ترتيل القرآن المنقول إلينا بالتواتر ، ولكن يتحقق الاخراج من الظلمات إلى النور - بإذن الله - عبر العمل بمقتضى آيات القرآن الكريم والتمسك بتوجيهاتها فى جميع جوانب الحياة ، دون زيف أو فتنة بمتشابهها ﴿ والرّاسخون فى العلم

(٤) أى لا تبلى ولا تذهب جدته رغم كثرة القراءة والتلاوة والترديد والرد .

(٥) رواه أحمد فى باب فضائل القرآن الكريم .

(٦) الاسراء : ٩ .

(٧) إبراهيم : ١ .

يقولون آمناً به كلٌّ من عند ربِّنا وما يذكرُ إلا أولوا الألباب» (٨) .
ومن ثم حرصنا على أن يكون تعريفنا بالقرآن الكريم مشتملاً على
أهم الدعائم التي يجب أن يراعيها كلٌّ من يتصدى للتعريف
بالقرآن « ليتقرر منذ البدء أنَّ القرآن كتاب هداية وارشاد كما أراده
رب العباد ، الذي خلقهم وتعهدهم بتربيتهم تربية خلقية وتشريعية ،
وأنَّ تلك الهداية لا تكون ولا تتحقق إلا عبر العمل بالقرآن الكريم
إلى جانب الإيمان والافتناع بأنه تشريع من الله لتربية الخلق تربية
تشريعية لا يشاركه فيها أحد مهما أوتى من العلم والمعرفة ، وإلا إذا
كان من المشركين الذين وصفهم الله بأنهم شرُّ البرية .
وبالطبع فإن مثل هذا الإيمان المصحوب بالعمل يستلزم - لا
محالة - الإيمان والافتناع بأن القرآن موحى به من عند الله على خاتم
أنبيائه ورسله ، وأنه قد أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم ، وأنَّ آياته
قد أحكمت ثم فصلت من لدن حكيم خبير للتعبد بتلاوتها والعمل
بمقتضاها .

وذاك هو الإيمان الكامل المتكامل ، حيث يقرن العمل
بالإيمان ، والافتناع ببقية الدعائم ، أما إذا انشطر الإيمان واقتصر
على الافتناع ببعض الدعائم فقط مثل : الإعجاز ، الوحي ،
الأحكام ، التلاوة ، ولم يشمل جانب العمل أو دعامة التطبيق
والتقيد بتوجيهات القرآن الكريم فإنَّه لا قيمة تذكر لمثل هذا
الإيمان ، بل إنَّ مثل هذا الافتناع لا يختلف كثيراً عن افتناع الباحث
المتجرد من غير المسلمين ؛ إذ إنه قد يصل إلى تلك النتائج - دون
ريب - إذا تجرد من الغرض والهوى « ولكنه لا يتبع نتائج بحوثه

(٨) آل عمران : ٧ .

هذه بأى جانب تطبيقى ؛ لأنَّ بحثه فى الأساس كان لمجرد الدراسة وتوسيع دائرة المعلومات فى مجال الدراسات الشرقية والاسلامية كما يقولون -

ونعتقد أن مثل هذه الدراسات لا تصلح تعريفاً بالقرآن الكريم للمؤمنين الذين تشرب أعناقهم وتهفو أفئدتهم إلى معرفة مدى تغلغل القرآن الكريم فى جوانب حياتهم المختلفة دون انشطار لها ، وفى الأغلب الأعم لا تكون مثل هذه الدراسات أمينةً فى التعريف بالقرآن لا سيما وأنها تحصر القرآن فى دائرة المطارحات الفكرية العقلية ، ثم التلاوة والترديد دون عمل أن تطبيق . وما هكذا ينبغي أن يعرف بالقرآن ، خاصة فى هذا الزمان ، لذا ملنا إلى التعريف به عبر الدعام الأساسية وسنزيد تلك الدعام جلاء ووضوحاً خلال هذا البحث إن شاء الله ، ونشير الآن إلى أن «سر القرآن ولبابه الأصغرى ومقصده الأقصى ، دعوة العباد إلى الجبار الأعلى ، رب الآخرة والأولى ، خالق السموات العلى والأرضين السفلى»^(٩) .

٢ - تعدد أسماء القرآن الكريم

تعدد الأسماء للشيء الواحد سمة من سمات اللغة العربية وخاصية من خصائصها ، وقد جاء القرآن الكريم متحدياً العرب فى أخص خصائصهم هو البلاغة وكل ما تفرع عنها واندرج تحت فن القول والتعبير البيانى بطرق مختلفة ، من تصريح وكناية ، أو مشترك لفظى ومترادف الخ ..

(٩) أبو حامد الغزالى - جواهر القرآن - ط ثانية - مطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٣ م .

وتتعدد الأسماء ضرباً من الترادف اللغوي المميز في القرآن الكريم بدلالات جديدة في كل اسم من اسمائه المتعددة .
فن الذي وضع هذه الأسماء المتعددة والمميزة بتلك الدلالات ؟ وما هي الأسماء ؟

أوحى الله سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم وتوَلَّى حفظه كما تولى وضع أسماء بعينها له ، فلم يك ثمة مجال للتحريف أو التبديل في القرآن الكريم بالحذف أو الزيادة ، حيث جاء كاملاً متحدياً حتى في وضع الأسماء وتعددتها ، من تلك الأسماء ما يلي :

- ١ - القرآن ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١٠) .
 - ٢ - الفرقان ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(١١) .
 - ٣ - الذكر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١٢) .
 - ٤ - الكتاب ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣) .
 - ٥ - التنزيل ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٤) .
 - ٦ - النور ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١٥) .
 - ٧ - الروح ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(١٦) .
- وغيرها من التسميات والصفات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم^(١٧) تحدياً وبياناً لأهداف القرآن الكريم

(١٤) الشعراء : ١٩٢ .

(١٠) الاسراء : ٩ .

(١٥) المائدة : ١٥ .

(١١) الفرقان : ١ .

(١٦) الشورى ٥٢ .

(١٢) الحجر : ٩ .

(١٣) البقرة : ١ .

(١٧) راجع كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، وكتاب البرهان للزركشي ، وكتاب الهدى والبيان في أسماء القرآن - لصالح بن إبراهيم البليهي ، حيث عني كل منهم بذكر أعداد كبيرة من تلك الأسماء مع الاستشهاد بالآيات القرآنية للأسماء التي استخرجوها .

والتي رأينا أن جاعها يتمركز في الهداية والارشاد أو الاخراج من الظلمات إلى النور عبر التربية التشريعية للخلق أينما كانوا وفي أى زمان كانوا .

فهذه التربية وتلك التسمية والتعهد بحفظ القرآن نعم إلهية كفت المؤمنين مؤونة حفظ القرآن الكريم ، وصدّت عنهم مغبة ما كان سيقع من خلاف وشجار لولا العناية الإلهية بالحفظ والهداية .

ومن ثم لم يقم أى خلاف بين المسلمين طوال قرون خلت ، ولن يقوم بإذن الله - في النص القرآني ذاته ، لكنهم اختلفوا في فهم معاني بعض النصوص ، تبعاً للاختلاف في فهم الدلالات اللغوية أو القواعد الأصولية لاستنباط الأحكام ، إلا أن هذا الأمر لم يكن على إطلاقه ؛ لأن هناك ما هو قطعيّ الدلالة ولا مجال للاختلاف فيه البتة ، وقد وضع ذلك كله سلفنا الصالح ، أجزل الله لهم المثوبة والعطاء .

٣ - شبه التشكيك في القرآن وردّها :

لقد تشكك المغرضون - قديماً وحديثاً - في القرآن الكريم وشككوا في الوحي به ، ووصفوا النبي ﷺ بأنه شاعر تارة ، وساحر أخرى وبأنه مصاب بصرع أو نوبات عصبية تعتريه من وقت لآخر ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلاّ كذباً .

وقد تولى الله سبحانه وتعالى الردّ على قدامى التشكيكين الحاقدين ، أما المحدثون من متعصبى المستشرقين فقد هبّ الله من يردّ عليهم ، ومن بنى ، جلدتهم أيضاً ، منهم المستشرق

السير «وليام موير» صاحب كتاب حياة محمد ، حيث تحدث عن القرآن ودقة وصوله إلينا ، وأكد أن الذين هاجموا الإسلام ورسوله بعيدون كل البعد عن البحث العلمى التزبه ، وأوضح أن ما ذهب إليه البعض من تصوير حالة الرسول ﷺ إبان الوحي بأنها حالة صرع أو نوبة من نوباته تصوير خاطيء من الناحية العلمية ؛ إذ إن نوعية الصدع لا تترك عند من نصيبه أى تذكر لما مر به أثناءها بل إنه ينسى تلك الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً ، ولا يعرف شيئاً مما حدث خلالها ، ذلك لأن حركة الشعور تتعطل خلال تلك اللحظة تمام التعطل .

ونعتقد أن هذه الحقائق التى أشار إليها (وليام موير) لا تخفى على بنى عمومته ، ولكنها المكابرة والعناد ، وعدم التجرد والموضوعية فى البحث ، وإلّا لما أنكروا على محمد ﷺ شيئاً لم ينكروه على أنبيائهم والأنبياء السابقين لأنبيائهم ؛ إذ إن ظاهرة الوحي قديمة قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، «إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً» (١٨) .

الآية الأخيرة تشير إلى الحكمة من ارسال الرسل وهى قطع

حجة البشر بإرسال الرسل ، وتؤكد ضمناً حاجة البشرية
جمعاء إلى اتصال السماء بالأرض .

والاكتشافات العلمية التي يعرفها جيداً بنو عمومة «وليام
موير» . تؤكد ضرورة هذا الاتصال ، ولن يكون ذلك
الاتصال إلا عبر الوحي بطريق من طرقه المعروفة ..

فلا غرابة إذن في الوحي من حيث هو ، كما لا غرابة في
الوحي إلى محمد ﷺ «أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ
مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ
رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ» (١٩) .

هذا وقد تثار شكوك وتساؤلات حول نزول الملك على
محمد ﷺ وهو بين ملائ من أصحابه دون أن يراه واحد
منهم ، ولا غرابة في مثل تلك التساؤلات إذا كانت ابتغاء
الاطمئنان القلبي ، أما إذا كان السائل يرتب عليها حكماً
بالرفض أو الإنكار لنجيء الملك ومن ثم الوحي طالما كانت أعين
الموجودين مع النبي ﷺ - لحظة الوحي - لم تر الملك فيكون
تساؤله عندئذ مردوداً وحكمه مرفوضاً ؛ ذلك لأنه ليس من
شروط الموجودات أن تُرى بالأبصار حتى يحكم لها بالوجود ،
خاصة وأن قوة الأبصار محدودة بل «إن علماء الفيزياء قد أثبتوا
أن بعض الألوان لا تراها كل العيون ، وأن هناك إشعاعات
ضوئية دون الضوء الأحمر ، وفوق الأشعة البنفسجية لا تراها
عيوننا ، ولا شيء يثبت أنها كذلك بالنسبة إلى جميع العيون ،
أو أليس هناك عيون أقل أو أكثر حساسية من عيون أخرى ؟

(١٩) يونس : ٢ .

إذن فما المانع أن يرى محمد وحده الملك ويفهم ما يتكلم به ،
ولا يراه الآخرون ، أو لا يدركون ماذا تعني تلك الهيمنة أو
الدوى ؟ (٢٠) .

وقبل هؤلاء المستشرقين بمئات السنين كان كفار قریش
يزعمون هذا الزعم نفسه ، ومن ثم طلبوا من الرسول ﷺ أن
يأتيهم بقرآن آخر ، لكنه أعلن عجزه عن الاستجابة لتلك
الرجبة ؛ لأنها فوق مقدوره البشرى ، فلو كان القرآن من تأليفه
لاستجاب إلى رغبتهم ، وقد أخبرنا الله بهذه المواقف حيث
قال : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَبْرَأَانِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ
مِنْ تِلْكَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ . إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ
عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴾ (٢١) .

وقد قال الإمام الفخر الرازى : إِنَّ الكفار شاهدوا رسول
الله ﷺ من أول عمره إلى ذلك الوقت وكانوا عالمين بأحواله
وأنه ما طالع كتاباً ، ولا تتلمذ لأستاذ ولا تعلم من أحد ، ثم
بعد أنقرض أربعين سنة جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل
على نفائس علم الأصول ، ودقائق علم الأحكام ، ولطائف
علم الأخلاق وأسرار قصص الأولين ، وعجز عن معارضته
العلماء والفصحاء والبلغاء ، وكل من له عقل سليم يعلم أن
مثل هذا لا يكون إلا على سبيل الوحي والتتزيل ... (٢٢) وكون

(٢٠) مالك بن نبي - الظاهرة القرآنية من ١٧٨ .

(٢١) يونس : ١٥ - ١٦ .

(٢٢) الرازى : ١٧ - ٥٧ .

الرسول ﷺ لم يطالع كتاباً ولم يتلمذ على أستاذ هذا أمر ثابت بالقرآن الكريم ، وهو أوثق مصدر لمعرفة حياة الرسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۖ ﴾ (٢٣) وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ (٢٤) وقال : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٢٥) أى ما كنت تطمح أن تنال النبوة ولا أن ينزل عليك القرآن ، لكن رحمك الله بذلك ورحم العباد ببعثك فأنزل عليك القرآن الكريم هدىً ورحمةً للعالمين وعلمك ما لم تكن تعلم .

ومن ثم كان «موقف الرسول الملىء بالخشية والتقديس نحو القرآن المنزل عليه ، وإيمانه بأنه كلام الله ذاته ، ولم يكن في مقدوره أن يدخل عليه أى تعديل ، وعند تفسيره كان موقفه كموقف أى مفسر أمام نص ليس له ، وكان يرتعد أن ينسب إلى الله قولاً لم يقله مهما كان هذا القول بسيطاً ، كما كان يشعر بحرس من السماء ومراقبين يقظين يحيطون به ويراقبونه فيما يقوم به تجاه رسالته» (٢٦) .

كما أن حرص النبي ﷺ على سرعة حفظه وتبليغه للناس كما أنزل يعد دليلاً قوياً على أن القرآن ليس من تأليفه ؛ إذ لو كان من تأليفه لما احتاج إلى حفظه أو التلهف إلى سماعه بتلك الصورة ، ولو احتاج إلى حفظه لما وجد فيه مشقة أو معاناة ، والثابت أنه كان يجد

(٢٣) النساء : ١١٣ .

(٢٤) الشورى : ٥٢ .

(٢٥) القصص : ٨٦ .

(٢٦) د . محمد عبدالله دراز - مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٦٩ .

فى ذلك معاناة شديدة حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً فى اليوم الشديد
البرد ، وقد أراد الله أن يخفف عنه هذا العناء فأنزل عليه قوله
تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ،
فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه ﴾ (٢٧) وذلك تعليم للرسول
ﷺ كيف يتلقى الوحي من الملك ، وتخفيف للشدة والمعاناة التى
كان يجدها فى سبيل تلقى الوحي وحفظ القرآن الكريم ، وقد روى
عن ابن عباس رضى الله عنها أنه قال : « كان رسول الله ﷺ
يعانى من التزليل شدة فكان يحرك شفثيه ، فأنزل الله عز وجل :
﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه
وقرآنه ﴾ (٢٨)

وبعد هذا كله نشير إلى أن محمداً ﷺ كان يعلن دوماً أن القرآن
كلام الله ، وأنه تلقاه بواسطة جبريل ، وليس له سوى مهمة النقل
والتبليغ ، وقد كان أميناً فى نقله عن جبريل ، وتبليغه إلى الناس
كافة ؛ ذلك لأن صفتى الصدق والأمانة قد لازمتاه طوال أربعين
عاماً قبل البعثة ، وقد شهد له بذلك جميع قومه ، فما الذى يجعله
يكذب أو يتحول عما كان عليه بعد أن بلغ سن الرشد ؟ كما أن
المؤرخين مجمعون (٢٩) على أنه كان أميناً لم يقرأ كتاباً ولا خطه
بيمينه ، ولم يدرس تاريخ الأمم الغابرة ولم يدرس قانوناً أو تشريعاً
لتنظيم أى جانب من جوانب الحياة « فضلاً عن الحياة كلها ، فمن
أين له بكل هذه الأشياء إذا لم تكن هناك صلة بينه وبين السماء
ووحى ومدد من علام الغيوب ؟ بل أية عبقرية تلك التى تستطيع أن

(٢٧) القيامة : ١٦ - ١٩ .

(٢٨) البخارى ومسلم .

(٢٩) راجع تاريخ الطبرى ، ثم الكامل - لابن أثير ، وسيرة ابن هشام .

تلهم صاحبها الحديث الدقيق عن الكون وما كان وما هو كائن أو سيكون ؟ وهل سجل أو سطر واحد من العباقرة قبل النبي محمد ﷺ - شيئاً يشبه ما جاء به محمد ﷺ ليقال أن عمل محمد ما كان إلا امتداداً لعمل بشرى مسبوق . وليس لمحمد فيه سوى إضافة يسيرة هي التي ميزته ، أو لا إضافة ولا تمييز ؟!!

لم يقل أحد ذلك ، حتى الذين كفروا به وناصبوه العدا لم يستطيعوا أن يزعموا هذا الزعم ، على الرغم مما هو ثابت من أن الفكر البشري ما هو إلا سلسلة متصلة الحلقات ، وأن العرب القدامى كانوا يتناقلون الأفكار ويعيدونها ويكررونها :

ما أَرانا نقول إلا معاراً

أو معاداً من قولنا مكروراً

وأعتقد أن ما يساق من أدلة وبراهين عقلية إننا محتاج إليها الكافر أو المشرک أو من كان ضعيف الإيمان ، أما المؤمن القوى الإيمان فإنه يؤمن بالله رباً ومحمد رسولاً ، وبأن هذا الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ومن ثم لا تأخذه شبهة في القرآن ، لكنه كلما قرأه ازداد إيماناً ، واستضاء بنور القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم ، ففي القرآن آيات كثيرة تهديه وترشده إلى أن القرآن ليس من قول البشر ولكنه تنزيل من رب العالمين من ذلك قول الله عز وجل :

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾^(٣٠) وقوله : ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾^(٣١) وقوله : ﴿وإن أحد من

(٣٠) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٤ .

(٣١) النمل : ٦ .

المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴿٣٢﴾ وقوله : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَنْتِظِرُ بَقَرَانٍ﴾ غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ إِنْ أَخَافُ إِن عَصَيْتَ رُبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٣﴾ وقوله ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ وما لا تبصرون ، إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهنٍ قليلاً ما تذكرون ، تنزيل من ربِّ العالمين ، ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين ، وإنه لتذكرةٌ للمُتَّقِينَ ، وإِنَّا لنعلمُ أَنَّ منكم مكذِبين ، وإنه لحسرةٌ على الكافرين ، وإنه لحقُّ اليقين ، فسبح باسم ربِّكَ العظيم ﴿٣٤﴾ .

فالله سبحانه وتعالى قد أقسم لعباده بما يبصرون وما لا يبصرون - مؤكداً لهم أَنَّ هذا القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذى اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، ومشييراً إلى صدق هذا الرسول ورشده وأنه مؤيدٌ من ربه بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات ، ذاكرةً أَنَّ هذا النبى لا يتَقَوَّلُ على الله ، وليس هناك ما يدعوه إلى فعل ذلك ، ولو فعل لعجَّلَ عليه بالعقوبة وأخذه أخذ عزيز مقتدر ..

٤ - تكامل الوحى :

نعنى بذلك التكامُل اِكْتِمَال نزول القرآن على قلب النبى محمد ﷺ ، حيث كان ينزل مفرقاً وبحسب مقتضيات الأحوال ، قال

(٣٢) التوبة : ٦ .

(٣٣) يونس : ١٥ .

(٣٤) الحاقة : ٣٨ - ٥٢ .

تعالى : ﴿وقال الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (٣٥) وقال :
﴿وَقَرَأْنَاهُ فَتَرَانَاهُ لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (٣٦)
فالقرآن إذن كان ينزل على النبي ﷺ منجماً : آية وآيتان ، أو
أكثر ، أو سورة بأكملها ، لحكمة إلهية ، وتمشياً مع مقتضيات
أحوال الداعية والمدعوين في آن واحد ، ذلك لأن الرسول ﷺ
كان في حاجة إلى أن يشبهه رؤيته ويشد من أزره حتى يقوى على الصبر
والمصابرة ، وثبت في وجه أعداء الله من قومه الذين ألحقوا به أذى
جسيماً ، بل ناصبوه العدا ، وقد ضاق صدر الرسول ﷺ بطعن
المشركين في القرآن الكريم ، فشكاهم إلى الله عز وجل طالباً التثبيت
والتأييد ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٧) وقد
عظّم الله شكوى نبيه الكريم وخوف قومه مما فعلوا وقالوا ، حتى لا
يلحق بهم الدمار أو الهلاك ؛ لأن الأنبياء إذا التجأوا إلى الله وشكوا
قومهم حلّ بهم العذاب ولم يمهلوا . وثبت نبيه الكريم بتوجيهات
عديدة ، منها ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ
صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَاعْبُدْ
رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٣٨) وفي قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ (٣٩) وفي قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وقال الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ
وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ..﴾ (٤٠) .

(٣٨) الحجر : ٩٧ - ٩٩ .

(٣٥) الفرقان : ٣٢ .

(٣٩) الأنعام : ١١٢ .

(٣٦) الاسراء : ١٠٦ .

(٤٠) الفرقان : ٣٢ .

(٣٧) الفرقان : ٣٠ .

فالحكمة الكبرى من تنزيل القرآن الكريم منجماً هي مدد غيلاً تغتصده تدلّ أحوال ، ثم تثبت قلب النبي ﷺ ، وتثبيت قلوب المؤمنين أيضاً ، حسب تفسير ابن كثير لقوله تعالى ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ حيث قال :

«أى هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذى أوحى إليه جملة واحدة ، كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة ، كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرهما من الكتب الإلهية ؟ فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجماً فى ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين به»^(٤١) .

كما أن التنجيم يساعد الرسول ﷺ فى حفظ القرآن أو استظهاره ، وبعبارة أخرى تبليغه كما أنزل ، ومن ثم كان حرصاً بالحرص كله على تلقف الوحي ساعة نزوله وتحيك لسانه بالقرآن الكريم إلى أن جاءه توجيه الله عز وجل : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٤٢) وذلك يقتضى مهلة وتدرجاً فى انزال القرآن الكريم .

يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، بدعوتهم إلى أن يغيروا ما بأنفسهم ليتغير ما حولهم .

وهناك آراء أخرى يمكن الرجوع إليها لمعرفة ومعرفة مناقشة العلماء لها لمن أراد التوسع^(٤٣) .

وخلاصة القول أن القرآن الكريم كان فى اللوح المحفوظ ثم أنزل

(٤١) ابن كثير ج ٢ ص ٦٣١ .

(٤٢) القيامة : ١٧ .

(٤٣) راجع التسهيل لعلوم التنزيل ، الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٦/١ - ٨٣ .

على قلب الرسول ﷺ منجماً ، ولا تعارض بين هذا التنزيل وذاك ، لأن التنزيل على قلب الرسول ﷺ كان حسب مقتضيات أحوال الدعوة والداعية والمدعويين ، أما التنزيل في اللوح المحفوظ فقد كان جملة واحدة للحفظ ، بدليل قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٤٤) قال ابن كثير : «أى هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل ، روى ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن سلمان قال : «ما من شيء قضى الله ، القرآن فما قبله وما بعده ، إلا هو في اللوح المحفوظ ، واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه» وقال : الحسن البصري : إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ، ينزل ما يشاء على من يشاء من خلقه»^(٤٥) .

وفي السنة النبوية ما يؤكد هذا النزول ، ويدل على أنع غير النزول الذي كان على قلب الرسول ﷺ ، فعن ابن عباس موقوفاً «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ، ثم قرأ : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(٤٦) ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٤٧) . ومن هنا جاء اختلاف العلماء حول كيفية تلقى جبريل الوحي بالقرآن الكريم :

فذهب إلى أن جبريل كان يتلقى القرآن سماعاً من الله عزَّ

(٤٤) البروج : ٢١ - ٢٢ .

(٤٥) ابن كثير : مختصر ابن كثير : م ٣ ص ٦٢٦ .

(٤٦) الفرقان : ٣٣ .

(٤٧) الاسراء : ١٠٦ .

وجل بلفظه المخصوص ، وينقله إلى محمد ﷺ دون تبديل أو تعديل .

ومنهم من قال : إنَّ جبريل قد حفظه من اللوح المحفوظ ، كما أنَّ هناك من قال : أُلقي إليه المعنى ثم عبَّر عن ذلك بالفاظ من عنده .

والحق مع أصحاب الرأي الأول ، وهو رأى أهل السنة والجماعة ، يؤيده حديث النواس بن سميان الذي قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم الوحي ، أخذت السموات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا منه سُجُداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مرَّ بسماءٍ سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل ..» (٤٨) .

أما الرأي الثاني فردود ، لا لأنَّه متعارض مع حقائق الأشياء وحسب ، ولكن لأنه قاصر أو ناقص ؛ إذ لا معنى لحفظه دون نقله إلى النبي ﷺ ، وإلا لكان شأن القرآن شأن الغيبات الأخرى المثبتة في اللوح المحفوظ .

أما الرأي الثالث فإنه غير مقبول ، ولا يسنده أيُّ دليل نقلي أو عقلي يشير إلى أن القرآن كلام الله بالمعنى ، والالفاظ لجبريل أو محمد ، بل هذا مناف لما جاء في آيات كثيرة تُجرِّدُ الرسول من نسبة

(٤٨) أخرجه الحاكم والبيهقي .

القرآن إليه ، وتؤكد أنه ليس له في القرآن حرف أو كلمة ، إنما هو متلقى لكلام الله شكلاً ومضموناً ، معنى وألفاظاً ، وإلا لما تعجل في حفظه خشية نسيانه كلمة منه ، ولما قال لكفار قريش عندما طلبوا منه أن يبدل القرآن : إنَّ القرآن فوق طاقتي ، وليس في مقدوري أن أبدله أو أبدل حرفاً فيه ، وما أنا إلا ناقل أمين ، اتبع ما يوحى إلى منه ، قال تعالى :

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي ، إِنْ اتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ أَنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ...﴾ (٤٩) .

(٤٩) يونس - الآية رقم ١٥ .

الفصل الأول

التعبد بتلاوة القرآن الكريم

- (أ) الأمر الإلهي للرسول الكريم بتلاوة القرآن الكريم .
- (ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم .
- (ج) أهمية الاحتفاء بالقرآن الكريم وكيفية .
- (د) الحث على تلاوة التدبر والتفكير .
- (هـ) لماذا انفرد القرآن بمخاصية الأجر لمجرد التلاوة ؟

(أ) الأمر الإلهي للرسول الكريم بتلاوة القرآن :

التلاوة هي الدعامة الثالثة من دعائم التعريف بالقرآن الكريم « وهي ليست أمراً مبتدعاً ، ولكنها من الأمور التي فعلها الرسول ﷺ بأمر من الله تبارك وتعالى » وقد جاء هذا الأمر في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :

﴿وَأَنذِرْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ ^(١) ﴿أَنذِرْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ^(٢) ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِتِلْكَ عَلَيْهِمْ﴾ ^(٣) ﴿إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ

(١) الكهف : ٢٧ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٣) العنكبوت : ٥١ .

المسلمين . وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه
ومن ضلّ فقلّ إنّا أنا من المنذرين» (٤) .

أى وأمرت أيضاً بتلاوة القرآن لتكشف لى حقائقه
الرائعة ، وأن أقرأه على الناس ، فمن اهتدى بالقرآن واستنار
قلبه بالإيمان فإن ثمرة هدايته راجعة إليه ، ومن ضلّ عن
طريق الهدى فوبال ضلاله مختص به (٥) .

وقد امثل الرسول الكريم أمر به له بالتلاوة والترتيل :
«يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه
قليلاً ، أوزد عليه ورثل القرآن ترتيلاً» (٦) . قال الخازن «لما
أمره تعالى بقيام الليل اتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلّى
من حضور القلب والتفكير والتأمل فى حقائق الآيات
ومعانيها ، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر بقلبه عظمة
الله وجلاله ، وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل له الرجاء
والخوف ، وعند ذكر القصص والامثال يحصل له
الاعتبار ، فيستير القلب بنور معرفة الله» (٧) وثبت أن
الرسول ﷺ كان يقيم الليل مرتلاً للقرآن حتى تورمت
قدماه ، روى الامام أحمد عن زرارة بن أوفى ، عن سعيد
ابن هشام قال قلت : يا أم المؤمنين انبئينى عن خلق رسول
الله ﷺ ، قالت : أأست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى ،
قالت : فإنّ خلق رسول الله ﷺ كان القرآن ، فهممت أن
أقوم ، ثم بدا لى قيام رسول الله ﷺ ، فقال : أأست تقرأ

(٤) التل : ٩١ - ٩٢ .

(٥) محمد على الصابوني - صفوة التفاسير - ج ٢ ص ٤٢١ .

(٦) المزمل : ١ - ٤ .

(٧) تفسير الخازن ١٦٥/٤ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .

كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .

فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١٣)

وتلك إشادة بالذين يداومون على تلاوة القرآن الكريم ويعملون بمقتضاه ، ووعد من الله لهم بأنه سيوفيهم جزاء أعمالهم وثواب ما فعلوا من صالح الأعمال ، ويزيدهم - فوق أجورهم - من فضله وإنعامه وإحسانه ، قال في التسهيل : توفية الأجور هو ما يستحقه المطيع من الثواب ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك أو النظر إلى وجه الله ، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أى مبالغ في الغفران لأهل القرآن ، شاكر لطاعتهم ، قال ابن كثير : كان مطرف إذا قرأ هذه الآية قال : هذه آية القراء (١٤) .

فالآية لم تربط التلاوة بأية درجة من درجات الفهم ، ولكنها ربطت التلاوة بالصلاة والانفاق السرى والعلنى ، وتلك دعوة إلى تطبيق ما فى القرآن الكريم .. ومن ثم نقول : من لم يتسن له الفهم الدقيق أو المتكامل ، ولم تيسر لديه القراءة بطلاقة فليسأل أهل الذكر ، وليعن بالجانب التطبيقى قبل التجويد للقراءة أو الفهم المتكامل ، ثم ليجتهد بعد ذلك ما وسعه الاجتهاد لتحسين تلاوته وتوسيع دائرة معرفته دون قلق أو جزع ، لأن أجره ثابت عند الله ، ودون حسد للماهرين فى التلاوة والقادرين على الفهم ؛ إذ لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ولهذا قال الرسول

(١٣) فاطر : ٢٩ - ٣٠ .

(١٤) محمد على الصابونى - صفوة التفاسير ج ٢ ص ٥٧٥ .

ﷺ : «الماهر في القرآن مع السفرة البردة ، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق يتتبع فيه له أجران ، أجر التلاوة وأجر التتعة» (١٥) ..

والمهارة هنا تعني تجويد القراءة ، والذي يدل على ذلك هو المقابلة اللفظية أو المعنوية التي جاءت في حديث الرسول ﷺ « بين الماهر والذي يتتبع في قراءة القرآن . والتجويد كما عرفنا هو الاتقان والنطق الصحيح بالقرآن الكريم ، فهو إذن صناعة لفظية لها قواعدها التي تعين على إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ورد الحرف إلى مخرجه الأصلي ، ومن ثم لا تكفي الدراسة فقط لقواعد التجويد ، ولكن لابد من التدريب العملي على السماع ثم النطق .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءة بلا تجويد لحناً في القرآن ، واللحن خللٌ يطرأ على الألفاظ ، وحيث يلحق مخارج الحروف ، لهذا نسب إلى أبي بكر الصديق قوله : لئن أقرأ فأسقط خيرٌ لي من أن أقرأ فألحن» وإلى ابن الخطاب قوله : «للحنكم في القول أشدُّ على من خطئكم في الرمي» .

وإذا كان اللحن معيباً مستهجنًا فالمبالغة في التجويد إلى حد التكلف والتنطع أيضاً معيبة مستهجنة ؛ ذلك لأن التكلف والتنطع كثيراً ما يقودان إلى زيادة أو نقص في الحروف أو في نطقها ، وذلك حيفٌ وظلمٌ للحروف والكلمات كما يحدث مع اللحن ، والتكلف المتنطع لا يعدُّ

(١٥) مسلم كتاب صلاة المسافر - باب فضل الماهر بالقرآن - رقم ٧٩٨ .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البررة » ؛ لأنه بتكلفه وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَعْرُقْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

سمعوا القرآن تأثروا فخروا ساجدين لله رب العالمين حالة كونهم باكين عند سماع القرآن ، فالضمير إذن في قوله ﴿يَبْتَلِي عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَى الْعُلَمَاءِ الْمَصْرُوحِ بِذِكْرِهِمْ قَبْلَ الْضَمِيرِ ، حَيْثُ بَدَأَتِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا﴾ .

إِذْنُ آيَةِ الْإِسْرَاءِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا تُؤَكِّدُ تَأْثِيرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَأْثِيرًا بِالْغَايَةِ يَدْعُو إِلَى الْبُكَاءِ وَيَدْعُو إِلَى السَّجُودِ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَجْلَالًا وَتَعْظِيمًا ، وَذَاكَ كُلُّهُ لِمَجْدِ سَمَاعِ الْقُرْآنِ ، أَمَّا آيَةُ الزَّمْرِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا أَيْضًا فَلِإِنِّهَا تُشِيرُ إِلَى تَأْثِيرِ الْقُرْآنِ الْمَتَمَثِّلِ فِي قَشَعِرِيرَةِ الْأَبْدَانِ وَاطْمِئْنَانِ الْقُلُوبِ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، هَيْبَةً مِنَ الرَّحْمَنِ وَاجْلَالًا لِكَلَامِهِ ..

وَهَذَا وَذَاكَ يُؤَكِّدَانِ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ مِنْ ضَرُورَةِ الْإِحْتِفَاءِ وَالْإِحْتِفَالِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِتَجَدُّدِ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ ، وَتَصْفُو النَّفْسِ وَالرُّوحِ ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَكُونُ هَذَا الْإِحْتِفَالُ أَوْ الْإِحْتِفَاءُ ؟ اتَّكِنِي الْمَهْرَجَانَاتُ الشَّكْلِيَّةُ الَّتِي تَقَامُ هُنَا وَهَنَاكَ بِمَرُورِ عَامٍ أَوْ مِائَةِ عَامٍ ؟ أَمْ لَا عِلَاقَةَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَهْرَجَانَاتِ الشَّكْلِيَّةِ بِتَنْشِيطِ الْعَقْلِ وَتَجْدِيدِ الْفِكْرِ وَتَنْقِيَةِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ ؟

نَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِحْتِفَاءَ الْمَطْلُوبَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَتِمَثَّلُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ فِي الْعَنَاءِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَعَلُّمًا وَتَمَسُّكًا ، لِيَكُونَ أَثَرُهُ عَظِيمًا وَعَطَاؤُهُ وَفِيرًا فَيَعِمُّ هَدْيُهُ وَنَفْعُهُ ، وَمَنْ ثُمَّ نَهِيْبُ بِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْمَحَ لِنُورِ الْقُرْآنِ بِالْدُخُولِ إِلَى دَارِهِ ، لِيَعْمَرَ قَلْبَهُ وَقُلُوبَ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ بِالْإِيمَانِ ، وَأَلَّا يَتَصَوَّرَ بَعْضُ

الآباء أن هذا الدخول قد يتحقق لهم عبر المذباح أو التلفاز الذى يفتح براحه بآى من الذكر الحكيم ، أو عن طريق اقتناء المصحف ووضعه فى المنزل زينة أو تبركاً !!! ولكن علينا جميعاً أن نحقق معنى قول الله عز وجل :

﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وقوله : ﴿وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون﴾ (١٨) وقوله : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ (١٩) .

وبهذا يتحقق احتفاؤنا العظيم بالقرآن ، وتتوثق صلتنا به ، فلا نكون من الذين عناهم القرآن الكريم - على لسان الرسول ﷺ - بقوله : ﴿إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ ، ولكن على ذكر من أنواع هجر القرآن التى ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله حيث قال : أحدهم هجر سماعه والإيمان به ، والثانى : هجر العمل به وإن قرأه وآمن به ، والثالث : هجر تحكيمة والتحاكم إليه ، والرابع : هجر تدبره وتفهم معانيه ، والخامس : هجر الاستشفاء والتداوى به فى أمراض القلوب ، وكل هذا داخل فى قوله تعالى : ﴿إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ وإن كان بعض المهجر أهون من بعض (٢٠) . فلتتوثق صلتنا بالقرآن تعلماً وتمسكاً ، ولنذكر قول الرسول ﷺ : «اقرأوا القرآن فإنه يجىء يوم القيامة شافعياً

(١٨) الأعراف : ٢٠٤ .

(١٩) الأنفال : ٢ .

(٢٠) محمد جبال الدين القاسمى - محاسن التأويل ١٢/ ٥٧٥ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .

كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .

فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

عوناً على فهم القرآن وتدبره ، وكذلك كان يقرأ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة : كان يقرأ السورة فيرتها ، حتى تكون أطول من أطول منها ، وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال : كانت مدأ ، ثم قرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ بمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم ، عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : كان يقطع قراءته آية آية .. وفى الحديث : يقال لقارئ القرآن : اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (٢٢)

فالترتيل يعنى التمهّل والتأمل والتفكر ، وذاك يعين على الفهم دون رب فيستنير القلب بنور معرفة الله عكس الاسراع فى القراءة ، والترتيل والتدبر لا يتعارضان مع ترقيق الصوت ، ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يحاولون الجمع بين ترقيق الصوت وتجويد التلاوة ، وقد روى أن عبد الله بن مسعود كان قارئاً نديّ الصوت جيّد التلاوة ، وللتلاوة الجيدة بالصوت الندي أثرها لدى القارئ والمستمع فى فهم القرآن وإدراك أسرارهِ فى خشوع وضراعة ، وقد روى أن رسول الله ﷺ قال : «من أحب أن يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم» يعنى ابن مسعود ..

فالترقيق وجمال الصوت أو نداوته ليس مقصوداً لذاته ،

(٢٢) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .

كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .

فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البرة » ؛ لأنه بتكلفة وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشِطُهُمْ مِنْ جُلُودِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .

كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .

فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البررة » ؛ لأنه بتكلفه وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَعْرُقْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ وِزْدَهُمْ خُشوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

أسفاراً» (١) أو يكون كمن قال فيهم رسول الله ﷺ : «كم من قارئ للقرآن والقارئ يلعبه» .
وإذا أمعنا النظر فيما رواه أبوهريرة رضى الله عنه من أن النبي ﷺ قال : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» لا تضح لنا أن الحديث يرغب في تلاوة القرآن الكريم ويحث على العمل به ، وفي الوقت نفسه يحذر من الركون والاعتماد على النسب والحسب تماماً مثل التحذير من الركون والاعتماد على حفظ القرآن واستظهاره دون تدبر ودون تمسك أو عمل به ؛ إذ لابد لحامل القرآن من تدبره والعمل بمقتضاه في جميع جوانب حياتهم ما سعه ذلك - وإلا كانوا كمن قال فيهم ابن عباس : «ولو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس» .
أى أن القرآن عندئذ لا يحقق الهداية ولا يجلو ما في القلب من صدأ ورن ؛ لأن حامله لم يسلك في حياته اليومية وفق توجيهات القرآن الكريم ، ولكنه يعمل وفق هواه ناسياً أو غير آبه بقوله تعالى :
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ فلم يجاهد هوى نفسه الأمارة

(١) سورة الجمعة الآية ٥ .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البرة » ؛ لأنه بتكلفة وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَعْرُقْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

الفصل الثانى

القرآن الكريم وهدايته للبشرية

- ١ - القرآن نفحة ربانية لبنى البشر .
- ٢ - كيف يمكن الانتفاع بالقرآن الكريم ؟
- ٣ - وسيلة القرآن فى الدعوة إلى مقاصده .
- ٤ - القرآن والإيمان بالأديان المنزلة .
- ٥ - الإنسان فى القرآن عبداً لله وخليفته فى الأرض .

١ - القرآن نفحة ربانية لبنى البشر :

من تعريفنا بالقرآن الكريم تأكد لنا أنه النور الإلهى الذى يخرج الناس - كل الناس - من الظلمات إلى النور ، لذلك استطاع منذ نزوله وإلى اليوم أن يأسر القلوب والعقول ، فما السر فى ذلك يا ترى ؟

أعتقد أن ذلك راجع إلى أن القرآن لم يكن من صنع البشر ، إذ لو كان نتاج فكر بشرى محدود مكدود لكان لا بد له من أن يندثر ، أو أن يظهر بطلان ما يشتمل عليه من أفكار وتوجيهات يتضح تخلفها بمرور الزمن ، ولكنه ليس من صنع بشر ، بل من لدن حكيم خبير بعباده أينما كانوا ، وفى أى زمان وجدوا ، ومن ثم بقى كاملاً شاملاً صالحاً لكل زمان ومكان .

جاء القرآن الكريم شاملاً جميع جوانب الحياة الدنيا التى وصفت فى كثير من آياته بأنها لعب وهوى وتكاثر فى الأموال

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البرة » ؛ لأنه بتكلفة وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَعْرُقْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» وغير ذلك من الأحاديث التي تؤكد فضل القرآن الكريم وتحض على تلاوته .

استحق القرآن الكريم تلك الأفضلية : فكان نعمة للبشرية ، لأنه موجّه للناس كلهم دون تقييد بعنصر عرق أو جنسى أو اقليمى ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

وقوله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ هو أساس فكرة التوحيد الذى هو جاع دعوة القرآن الكريم ، بل إنَّ فكرة التوحيد فكرةً مفطورة في النفس الإنسانية ، حيث يولد كل إنسان على الفطرة النقية السليمة فأبوه وأبوه يهودانه أو يمجسانه ، وتفهم هذه الفطرة الإيمانية من خلال قول الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ (٣) .

وقد كان للمفسرين رأيان في تفسير هذه الآية ، لكل منهما مغزاه ودلالته ، والرأيان هما :

الأول :

أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ،

(٢) البقرة : ٢١ - ٢٢ .

(٣) الأعراف : ١٧٢ .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البرة » ؛ لأنه بتكلفة وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَعْرُقْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ وِزْدَهُمْ خُشوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴿٥﴾ أى حالهم شاهد عليهم بذلك ، لأنهم قاتلون ذلك ، وكذا قوله تعالى : ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ (٥)

وهذا ما ذهبنا إليه عندما قلنا أن فكرة التوحيد فكرة مفطورة في الإنسان ، وتلك حقيقة لا مرأى فيها ، بدليل أن العرب المشركين رغم شركهم وعنادهم واصرارهم على الكفر فإنهم كانوا يعترفون بوجود إله أعظم ، لكنهم لا يدعون هذا الاله الأعظم إلّا عند ما يحيط بهم خطر كبير ، عند ذاك يدركون أنه لا ملاذ لهم إلّا به ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، وقد حكى لنا القرآن ذلك في قوله تعالى : ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ریح عاصفٌ وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعا الله مخلصين له الدين لئن انجبتنا من هذه لتكونن من الشاكرين﴾ (٦) .

إذن الفطرة هي التوحيد ، والتوحيد هو أساس دعوة القرآن للبشرية جمعاء ، وقد أقام لهذه الدعوة كل الأدلة التي تفهم كل جبار عنيد ، وترد كل شيطان مريد ، كما أقام الأطر الكبيرة والقواعد العلمية التي توجه نشاط الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته الوجهة الحقّة ، سواء أكان ذلك في علاقاته مع أهله وعشيرته ، أو في علاقاته مع أخيه في الإنسانية ، أو في علاقاته مع خالقه وموجده ، والذي بيده الأمر كله .

ومن ثم نقول : القرآن هداية لبني البشر ، إذا تمسكوا به وترسموا أطره وقواعده الكلية التي وضعت لكل فرع من فروع

(٥) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٦) يونس ٢٢ .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البرة » ؛ لأنه بتكلفة وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

وصرف المستمع عن المشاغل المادية بغية السمو به إلى الدرجات العلى أمرٌ واضح من خلال كثير من آى الذكر الحكيم ، من تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا . ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً﴾ ^(١١) وقوله : ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ^(١٢) .

وقوله : ﴿الذين يتفقون أمواهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا متاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى والله غنىٌ حلیم﴾ ^(١٣) وقوله : ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنةٌ من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذريةٌ ضعفاء فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تفكرون﴾ ^(١٤) وقوله : ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً والله واسعٌ عليم﴾ ^(١٥) .

هذه الآيات وغيرها ، بل القرآن في مجمله يرتفع بالإنسان حينما يستمسك بالقرآن ويتدبره حق التدبر ، يرتفع به إلى عالم الروح

(١٤) البقرة : ٢٦٦ .

(١٥) البقرة : ٢٦٨ .

(١١) النساء : ٧٧ .

(١٢) البقرة : ٢٥٧ .

(١٣) البقرة : ٢٦٢ - ٢٦٣ .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البرة » ؛ لأنه بتكلفة وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا . ﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

الكافر؟ وغيرها من الأسئلة الحائرة .

أما الجوع فلا ، لم يدع الإسلام المسلم إلى الاستسلام لعوامل المرض أو الجوع والفقر ، ولكن حصّنه على العمل ، وأمره به أمراً ، ﴿قُلْ اَعْمَلُوا فَيَسِيرَ لَكُمْ رَسُولُهُ﴾ «لئن يحتطب أحدكم فياً كل من عمل يده خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو لم يعطوه» وجعل في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للسائل والمحروم .

وما الغنى والفقر إلا سنة من سنن الله في خلقه ، المؤمنين منهم والكافرين ، وهذه السنة تؤكد أن الناس أمة واحدة ، لها رب واحد ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، فما على المؤمن إلا أن يجد ويعمل ثم يتعد بعقله وفكره عن وسوسة الخناس في حال غناه أو فقره ، ليسعد نفسه وأهله : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَاحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٦) .

٣ - كيف يمكن الانتفاع بالقرآن الكريم :

ابتعد كثير من المسلمين - في هذا الزمان - عن القرآن الكريم وقال بعضهم : كيف يمكننا الانتفاع بالقرآن الكريم وقد بعد العهد بيننا وبينه ؟ وقال آخرون : كيف نقنع أنفسنا بالعودة إلى القرآن الكريم وقد بعد بيننا وبينه ؟ وقال آخرون : كيف نقنع أنفسنا بالعودة إلى القرآن الكريم وذاك أمر يقتضي منا رجعة إلى الوراء ؟ بينا العالم من حولنا يتقدم بخطوات كبيرة إلى الأمام .

هكذا يقولون ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ؛ ذلك لأن

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البرة » ؛ لأنه بتكلفة وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

يرث الله الأرض ومن عليها .

إذا كان الرجوع إلى ميراث الأمة الفكرى والحضارى شيئاً مقبولاً رغم قدم العهد ، وكان لابد من تناقله واستلهامه ، فكيف يكون الحال بالنسبة للقرآن الكريم ، الذى هو من الله العلى القدير ، خالق الشعوب ومبدع حضاراتها ؟ ألا يكون مقبولاً ؟ بلى . نعم إذا كان استلهام القديم من نتاج الفكر البشرى المحدود المكدود مفيداً لا بد أن يكون الرجوع إلى القرآن أكثر فائدة وأكثر تحقيقاً للسعادة عبر التقدم والتطور الذى يدعو إليه القرآن وفق الخطط والأطر المرسومة ، ولكن لن يتحقق شئ من ذلك إلا إذا فهم القرآن حقَّ الفهم ، وتمَّ التمسك به والسير على هديه ، فهو كتابٌ هداية باقية دائمة ، وهدايته تتحقق عبر مقاصده التى تدور حول ثلاث نواح بارزة هى :

١ - ناحية العقيدة . ٢ - ناحية الأخلاق . ٣ - ناحية الأحكام .
وهداية البشرية جمعاء إنَّما تتحقق عبر هذه النواحي الثلاث ؛ ذلك لأن العقائد تطهرُّ القلوب من بذور الشرك والوثنية ، وتربطها بمبدأ الروحية الصافية ، والأخلاق تهذبُّ النفوس وتركيها فترفع من شأن الفرد والجماعة ، أمَّا الأحكامُ فإنَّها تنظم علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، وقد جاءت الأحكام الإسلامية ماثلة فى الأطر الكبيرة لأحكام العبادات ، والمعاملات ، والحرب ، والسلم ، وما يتبعها من غنائم وأسرى ومعاهدات ، وما إلى ذلك مما يدخل فى إطار الأحكام الدولية ، إلا ما اقتضت الحكمة الالهية تفصيله وتوضيح دقائقه وجزئياته تولى القرآن تفصيله .

وليتحقق الانتفاع بالقرآن الكريم لا بدَّ من تفهم كل تلك الجوانب ، وبمقدار الفهم يكون النفع وتكون الفائدة ؛ إذ كلما

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البررة » ؛ لأنه بتكلفه وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

كل وسائل الإيضاح وعوامل الاقتناع « أسلوب فذٌ معجزٌ ببلاغته وبيانه ، واستدلالٌ بسيطٌ عميقٌ » يستمد بساطته وعمقه من كتاب الكون الناطق ، وامثالُ خلافة تُخرجُ أدقَّ المعقولات في صورة - أجلي الملموسات ، وحكمٌ بالغاتُ « تبهّر الألباب بمحاسن الإسلام وجلال التشريع » (١٩) .

ولا بد من معرفة كل هذه الجوانب وغيرها لتتسع دائرة النفع بالقرآن الكريم ، فترتقى حياة الناس وتتطور ، بغية عمارة الكون ، تلك العمارة التي جعل الله الإنسان خليفة في الأرض من أجلها .

٣ - وسيلة القرآن في الدعوة إلى مقاصده :

الوسائل التي اعتمد عليها القرآن الكريم في الدعوة إلى مقاصده كثيرة متنوعة منها ما يلي :

١ - الارشاد إلى النظر والتفكير والتدبر في الآيات الانفسية والآفاقية ليدرك الناظر عظمة الله وابداعه في خلقه ، قيمته في قلبه إيماناً بوجود الله ووحدانيته ، يدعم ذلك الإيمان ويقويه الاقتناع العقلي بعد التأمل والتدبر في مخلوقات الله ، وفي هذا ما فيه من تقدير وتكريم للعقل البشري .

٢ - قَصَصُ الأولين ، أفراداً وأممًا ، الصالحين منهم والظالمين ، بغية العظة والاعتبار ، وبغية التوجيه نحو ادراك سنة الله في معاملة الأمم السابقة ؛ ذلك لأن القصة في القرآن الكريم لم تكن للتاريخ وحسب ، كما يظن - أو لتحديد - المكان والزمان والأشخاص وترتيب الوقائع والحوادث وتعقيدها ، ثم حلها وانفراجها وكفى ، إنما كانت إلى جانب ذلك وفوق ذلك للعظة

(١٩) محمد عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البرة » ؛ لأنه بتكلفة وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَعْرُقْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم
الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴿٢٠﴾ .

فهذا مثل كان ولا يزال يحمل في طياته عناصر التحدى
والاعجاز للعلم والعلماء على السواء ، وسيظل كذلك رغم
تطور العلم والتكنولوجيا ، إذ من ذا الذى يستطيع أن يخلق
الذبابه رغم تفاهتها وصغر حجمها ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن
يرد الحياة التى قد تسبب الذبابه في سلبها - بإرادة الله - عن
طريق الأمراض التى تنقلها ؟ لا أحد . «إذ لو سلبتك الذبابه
ذرة من النشا من طعامك فإن عباقرة الكيمياء لو اجتمعوا لا
يستطيعون استرداد هذه الذرة من أمعائها ، لأنها تتحول فوراً
إلى سكر بفعل الخائز الهاضمة فما أضعف الطالب والمطلوب ،
وما أضعف عبقرى الكيمياء ، وما أهون الذبابه وما أتفه ذرة
النشا في عالم هائل بلا حدود» (٢١) .

٦ - الدعوة إلى التوازن الروحى والمادى ، حيث حضَّ المؤمن على
ألا يجعل همه الأوحده هو المتع المادية فى الحياة الدنيا ، وفى
الوقت نفسه لا ينصرف عنها أو يعتزلها ، قال تعالى : ﴿كلوا
من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى
ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾ (٢٢)

قد يقال أن الدعوة إلى التوازن هى سبب تخلف الشعوب
الإسلامية ، وقد يستدل على هذا الزعم بواقع المسلمين مقارناً

(٢٠) الحج : ٧٣ .

(٢١) د . مصطفى محمود - القرآن (محاولة لفهم عصرى) ص ٢٢١ .

(٢٢) طه : ٨١ .

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البررة » ؛ لأنه بتكلفه وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَعْرُقْ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

نفسه ، بل نتيج له أن يدوس على كرامة أخيه الإنسان فيحرمه الأمن ، والحرية بل صفة الآدمية تارات .

وما قد يترأى من مزايا إنسانية لدى هؤلاء فلأنها هي من أوليات التعاليم الإسلامية ، أو من بقايا تعاليم الكتب السماوية التي حرفت ثم نسخت ، وقد قال رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» . ولكننا عشنا زماناً نعيشو إلى أضواء الناس - ولم نكن ندري أن الزيت الذي في قناديلهم هو زيتنا ، وعشنا زماناً تخلّى فيه كثير من المسلمين عن كثير من تلك الفضائل الأخلاقية ، وعشنا زماناً وجد فيه من يحسبون أن التدين الحق هو «الكهنوت» أو التوقع والابتعاد عن دائرة العلم والعمل ، وحاشا أن يكون التدين الحق كذلك ، خاصة في الإسلام الذي يأمر بالعلم والعمل ، ويرى الإنسان المسلم على نكران الذات وحب التضحية من أجل الآخرين دون طمع أو حقد أو حسد ..

ونعتقد أن خشية الله في السر والعلن ، في المتجر والمصنع ، في الحقل والمدرسة ، في كل زمان ومكان هو التدين الحق ، ولا يمكن الوصول إلى مثل هذا التدين إلا عن طريق القرآن الكريم الذي يجب أن نتدبره وأن نتفياً ظلاله دوماً لنستمد منه النور لدرينا والأمل لحياتنا التي نتوحن فيها ولها التوازن ، بين المادة والروح ، حتى لا نكون من الأخسرين أعمالاً ، في الدنيا والآخرة ، ولا نتيج الفرصة للمغرضين الملحين من أمثال «م . ر . ر . رجاتوف» ، كاتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بروسيا - سابقاً - حيث ألف كتاباً أو كتيباً في سبعين صفحة بعنوان : (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن) كان فيه

ماهرًا المهارة التي عناها الرسول ﷺ بقوله : « الماهر في القرآن مع السفارة البررة » ؛ لأنه بتكلفه وتنطعه يكون قد ابتعد عن دائرة الاتقان والتجويد ، ومن ثم يبتعد عن دائرة المهارة .

(ح) أهمية الاحتفاء بالقرآن وكيفيته :

لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نختنق ونحتفل بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأن الاحتفاء به يثير دوماً حركة الفكر ويُجدد نشاط العقل البشري المحدود المكدود ، والذي كثيراً ما تطرأ عليه حالات الجمود والخمود ، فيدعو ذلك الاحتفاء إلى التجديد في الفكر الديني على ضوء الأطر الكبيرة التي وضعها القرآن الكريم ، لمقابلة ما يجد ويتجدد في الأمور الدنيوية للبشر ، بل إن الاحتفاء بالقرآن الكريم يعطى كل مؤمن شحنة روحية تعين على صفاء نفوس المؤمنين ونفوس الذين أوتوا العلم منهم على وجه أخص ، قال تعالى :

﴿تَقْشَرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(١٦) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشُوعًا .﴾ ^(١٧) والمقصود هنا العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من صالحى أهل الكتاب إذا

(١٦) الزمر : ٢٣ .

(١٧) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .
 كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .
 فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

فإنها منافيان للفطر البشرية ، ولسنن الاجتماع التي تقضى بالتوسط في كل شيء ، ضماناً للنماء والبقاء والاستمرار دون انحلال أو اضمحلال .

ففي مجال العقيدة تجدد عقيدة الإسلام وسطاً بين عقيدة من ينكرون وجود أى إله (ملحدون) ، وعقيدة من يؤمنون بتعدد الآلهة (مشركون) حيث دعا الإسلام ويدعو إلى التوحيد الخالص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ .

وفي مجال الأخلاق وصلة الإنسان بالحياة في شتى مجالاتها تجدد عقيدة الإسلام وسطاً بين دعوة من ينكرون كل الفضائل ، ودعوة من يفرطون ويبالغون في تصور الفضيلة فيجعلونها أمراً شاقاً صاعداً لكثير من النفوس البشرية فالفضيلة في الإسلام تتوسط الحدَّين المتعارضين في كل شيء : لا جبن ولا تهوُّر ، لا بخل ولا تبذير ، لا استكبار ولا استخذاء ، لا جزع ولا استكانة ، لا رهبانية ولا فسوق .

كل هذه المعاني نجدتها واضحة في القرآن الكريم ، من ذلك قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣٠) وقوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا انْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ وقوله : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٣٢) وقوله : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٣٣)

(٣٠) الإسراء : ٢٩ .

(٣١) الفرقان : ٦٧ .

(٣٢) القصص : ٧٧ .

(٣٣) الجمعة : ١٠ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .
 كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .
 فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .
 كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .
 فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

١ - مقام الإسراء حيث قال : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لئله من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (٣٩) .

٢ - الوحي حيث قال : ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ (٤٠) .

٣ - مقام الدعاء حيث قال : ﴿وأنه لما قام عبداً يدعو كادوا يكونون عليه لبداً ، قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحداً﴾ (٤١) .

فلو تاب الإنسان إلى عقله وابتعد عن مفسدات الفطرة النقية لأدرك حقيقة ، ولما استنكف أن يكون عبداً عابداً شاكراً لمن أوجده ، ولكن : ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ (٤٢) ومن ثم كانت دعوة القرآن له كي يتأمل في ذاته : ﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (٤٣) ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (٤٤) ﴿أو لم ير الإنسان أننا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (٤٥) .

نعم الإنسان شديد الخصومة والجدال بالباطل ، يخاصم ربه وينكر قدرته ، ويكذب بالبعث والنشور ، في حين أن الله سبحانه وتعالى قد خلقه من ماء مهين ، وخلق أباه من طين « ثم كرمه وذريته أحسن تكميم ، حين أمر الملائكة بالسجود

(٤٣) الطارق : ٥ - ٧ .

(٤٤) النحل : ٧٨ .

(٤٥) يس : ٧٧ .

(٣٩) الاسراء : ١ .

(٤٠) النجم : ١٠ .

(٤١) الجن : ١٩ - ٢٠ .

(٤٢) العاديات : ٦ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .

كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .

فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنها كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .
 كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .
 فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

هذه السورة ﴿يا أيها المزمل﴾ ؟ قلت بلى ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ﴿٨﴾ .

كما رغب النبي ﷺ المؤمنين في المداومة على تلاوة القرآن الكريم ، وذلك من خلال قوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ﴿٩﴾ وقوله : (أهل القرآن أهل الله وخاصته) ﴿١٠﴾ وقوله : (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقليل يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن وذكر الموت) ﴿١١﴾ وقوله : (من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف) ﴿١٢﴾ .

فذاك ترغيب في شيء يعين على جلاء القلوب ونقاء السيرة ، وتحقيق السعادة في الدارين بإذن الله تبارك وتعالى ..

(ب) ثبوت الأجر لمجرد تلاوة القرآن الكريم :

لقد ثبت أن مجرد ترديد ألفاظ القرآن ولو من غير فهم فيه أجر وثواب من الله عز وجل ، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم ، قال تعالى :

(٨) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٩) البخاري .

(١٠) النسائي وابن ماجه والحاكم .

(١١) البيهقي في الشعب .

(١٢) الترمذي .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

حيث تشير الآية الأولى إلى أن دين الإسلام دين الملة المستقيمة إنما يتمثل في إخلاص الدين لله والميل عن الشرك وأهله ، على أن تنعكس آثار هذه العبادة الخالصة صلاةً وزكاةً وما يستلزمها ويتبعها ، وتشير الآية الثانية إلى ضرورة الربط بين الدعوة والعمل الصالح ؛ إذ لا معنى لقول بلا عمل ، ومن ثم قال ابن كثير في تفسير تلك الآية «أى وهو في نفسه مهتدٍ ، فنفعه لنفسه ولغيره ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، بل ياتم بالخير ويترك الشر ، وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير»^(٤) وقال على كرم الله وجهه : «قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك» وقال الشاعر :

إبدأ بنفسك فانها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يقبل إن وعظت ويقتدى
بالرأى منك وينفع التعليم

وقال الآخر :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى
طبيبٌ يداوى الناس وهو عليل
وقال أبو العتاهية :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى
وروح الخطايا من ثيابك تسطع
فالداعية العالم العامل المتجرد يكون أثره عظيماً ونفعه

(٤) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير - ج ٣ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

حيث تشير الآية الأولى إلى أن دين الإسلام دين الملة المستقيمة إنما يتمثل في إخلاص الدين لله والميل عن الشرك وأهله ، على أن تنعكس آثار هذه العبادة الخالصة صلاةً وزكاةً وما يستلزمها ويتبعها ، وتشير الآية الثانية إلى ضرورة الربط بين الدعوة والعمل الصالح ؛ إذ لا معنى لقول بلا عمل ، ومن ثم قال ابن كثير في تفسير تلك الآية «أى وهو في نفسه مهتدٍ ، فنفعه لنفسه ولغيره ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، بل ياتم بالخير ويترك الشر ، وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير»^(٤) وقال على كرم الله وجهه : «قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك» وقال الشاعر :

إبدأ بنفسك فانها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتندي

بالرأى منك وينفع التعليم

وقال الآخر :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى

طبيبٌ يداوى الناس وهو عليل

وقال أبو العناهيم :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى

وروح الخطايا من ثيابك تسطع

فالداعية العالم العامل المتجرد يكون أثره عظيماً ونفعه

(٤) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير - ج ٣ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

٦ - الاختلاف الذى ينشأ عن حب المال والتطلع إلى التكاثر والصراع حول السلطة والتسلط = دنية كانت السلطة أم سياسية أم اقتصادية عند من يفصلون بين هذه وتلك ..

٧ - الاستسلام للجزع والهلع لما يصادفها من أحداث وصعاب وعدم التفكير فى المقاومة أو التوقي حتى تخر الأمة صريعة أمام الأحداث والخطوب أو تستسلم للأعداء المحاربين حرباً مادياً أو معنوياً .

ومما يحز فى النفس أن معظم هذه العوامل - إن لم يكن كلها قد أخذت تظهر فى مجتمعاتنا الإسلامية بنسب متفاوتة من مجتمع إلى مجتمع ومن عامل لآخر ، ففقدت مجتمعاتنا كثيراً من جوانب العزة والكرامة ، وبنسب متفاوتة أيضاً ، وسيأتى الدمار - للأمة - مائلاً فى أشكال وصور مختلفة عن دمار الأمم السابقة ، يوم أن يحق عليها القول ، 'إلا أن هذا لا يعنى استسلام الأمة وعدم توقيها ، ولكنه يعنى التنبيه والدعوة إلى مراجعة المواقف ومحاسبة النفس ، خاصة بالنسبة للدعاة ، ثم الحكام القائمين على أمر المسلمين ، والذين جعلوا شرع الله وراء ظهورهم .

على الدعاة أن يراجعوا خطواتهم ؛ لتطمئن قلوبهم ، ثم يطمئن المدعوون بأن جهود الدعاة تسير وفق المنهج الإسلامى السليم ، وحسب التوجيه الربانى الحكيم ، وتستثمر كل الامكانيات الفكرية فى فقه سنن الكون ودراسة عبر التاريخ وعظاته وقوارعه ، لتمد كل فرد من أفراد المجتمع المسلم بما يحتاج إليه فى مجال الفقه السياسى والاجتماعى

حيث تشير الآية الأولى إلى أن دين الإسلام دين الملة المستقيمة إنما يتمثل في إخلاص الدين لله والميل عن الشرك وأهله ، على أن تنعكس آثار هذه العبادة الخالصة صلاةً وزكاةً وما يستلزمها ويتبعها ، وتشير الآية الثانية إلى ضرورة الربط بين الدعوة والعمل الصالح ؛ إذ لا معنى لقول بلا عمل ، ومن ثم قال ابن كثير في تفسير تلك الآية «أى وهو في نفسه مهتدٍ ، فنفعه لنفسه ولغيره ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، بل ياتم بالخير ويترك الشر ، وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير»^(٤) وقال على كرم الله وجهه : «قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك» وقال الشاعر :

إبدأ بنفسك فانها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يقبل إن وعظت ويقتندي
بالرأى منك وينفع التعليم

وقال الآخر :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى
طبيبٌ يداوى الناس وهو عليل
وقال أبو العناهيم :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى
وروح الخطايا من ثيابك تسطع
فالداعية العالم العامل المتجرد يكون أثره عظيما ونفعه

(٤) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير - ج ٣ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

والافتخار في اللقاءات والمؤتمرات الإسلامية ، أو بقصد الابتزاز السياسي الذي لا يورث الأمة سوى النكبات ، ومن ثم يجعلون الإسلام شعاراتٍ ولافتاتٍ لا أثر لها في حياة الناس ، ولا تَمَسُّها إلا بمقدار ما يشير إلى موقع الدولة في خارطة العالم الإسلامي ويشعر بأن دينها الرسمي هو الإسلام ، أما تنزيل الإسلام وتطبيقه في حياة الناس فهو أمر فيه كثير نظر ، وربما كان فيه شيء من الخطر - في نظر أولئك الحكام - ولكن على ماذا يا ترى الخطر؟ أعلى المنصب والجاه؟ أم على السلطة؟ وهي وإن طالَت ومهما طالَت فإلى أمدٍ محدودٍ ، وكل فعل فيه مرصود ، لدى الحى الذى لا يموت ، والآيات الآفاقية والأنفسية تؤكد ذلك ، وما على أولئك الحكام إلا أن يراجعوها ، لتعينهم على تغيير ما بأنفسهم من جهل أو عداوة للإسلام ودعاة الإسلام ، فيكفوا عن تحنيط الإسلام في دوائر ضيقة ، وحصر الدعاة في زوايا محدّدة ، مراعاة لخطط بطانة السوء ، أو استجابة للموازنات التى يتشدّق بها كثير من أولئك الحكام في أخريات الزمان مستغلين ما قد يوجد بين الدعاة من خلافات في مسائل جزئية ، ومن تباين في النظرة المذهبية ، ومن ضعف نفسى - أحياناً - يقود بعض الدعاة إلى العراك والتطاحن على مآرب لا تستحق بذل أدنى جهد ، فضلاً عن إقامة معركة .

فليتق الله عباد الله ، حكاماً ومحكومين ، دعاة ومدعون ، ولتزل الجفوة والفجوة بين الحكام والدعاة لتتآزر جهودهم من أجل الدعوة إلى الله في شتى المجالات ،

وليقرأوا التاريخ قراءة واعية مستبصرة ؛ ليتذكروا أن الأمة المسلمة قد مرت بمحن وشدائد في دورات التاريخ المختلفة ، اتخذت صوراً وأشكالاً ، لكنها لم تقض على حقيقة الأمة الإسلامية ، ولم تمحها من الوجود ، وما ذاك إلا لوجود القرآن بينهم ، يرفع معنوياتهم ، ويرأب صدعهم ، ويجمع شملهم ، ويذكرهم - دوماً - بضرورة الدعوة إلى الحق والتمسك بالحق ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٥) .

وقد قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمراد في الآية الأمة المحمدية لحديث «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٦) .

كما يذكر القرآن الكريم بضرورة الجهاد والصبر على الشدائد وبذل كل ما يمتلكون من أجل تحقيق النصر أو الاستشهاد والأجر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَلَهُمْ بَأْسٌ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٧) وكما قال ابن كثير فإن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يشير إلى أمة محمد ﷺ ، وكلمة أمة تشمل الحكام والمحكومين ، والدعاة والمدعوين ، ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله واجبة على الأفراد والجماعات ،

(٥) الأعراف : ١٨١ .

(٦) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠ .

(٧) النساء : ١٠٤ .

ونرى أنها على الحكام أوجب وألزم ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

والدعوة من جانب الأفراد يسيرة لكنها ذات آثار كبيرة إذا تواصلت وتواثقت ، بحيث يدعو كل مسلم أخاه المسلم إلى ما هو حق وعدل ، وينهاه عن كل ما يرى فيه من سوء ، ويذكره كلما نسي أو هفا ، فالمؤمن مرآة أخيه ، وبهذا سوف لا تسود المنكرات في المجتمعات الإسلامية ، وسيتوجه المجتمع كله نحو الخير والعدل - بإذن الله تبارك وتعالى - طالما شاع بين أفراده الإيمان الحق والتواصي بالحق دون تشدد ، ودون جنوح إلى التكفير للمجتمع بأسره ، أو الهجرة عنه طالما لم تتوفر فيه الصور والأشكال التي ارتسمت في مخيلة بعض المفرطين أو المفرطين .

وتلك هي السمات الأساسية للأمة المسلمة والتي كانت خير أمة أخرجت للناس ، وهي الدعائم التي يجب توفرها لدى كل مسلم ، خاصة دعامة الإيمان الحق ، لأنها ترتفع بالإنسان من العبودية لسوى الله تبارك وتعالى ، فـ (يقيم في نفسه المساواة مع جميع العباد ، فلا يذل لأحد ، ولا يحنى رأسه لغير الواحد القهار ...) ^(٨)

وقد يتساءل البعض عن الإيمان الحق ، وعن الضابط أو المعيار الذي يعرف به ذلك ، نقول : لا ضابط ولا معيار سوى العمل ، العمل الصالح ، ذلك لأن العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان الحق ، وثمار هذا الإيمان لا تذوى

(٨) سيد قطب - في ظلال القرآن - ج ٦ ص ٣٩٦٧ .

وليقرأوا التاريخ قراءة واعية مستبصرة ؛ ليتذكروا أن الأمة المسلمة قد مرت بمحن وشدائد في دورات التاريخ المختلفة ، اتخذت صوراً وأشكالاً ، لكنها لم تقض على حقيقة الأمة الإسلامية ، ولم تمحها من الوجود ، وما ذاك إلا لوجود القرآن بينهم ، يرفع معنوياتهم ، ويرأب صدعهم ، ويجمع شملهم ، ويذكرهم - دوماً - بضرورة الدعوة إلى الحق والتمسك بالحق ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٥) .

وقد قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمراد في الآية الأمة المحمدية لحديث «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٦) .

كما يذكر القرآن الكريم بضرورة الجهاد والصبر على الشدائد وبذل كل ما يمتلكون من أجل تحقيق النصر أو الاستشهاد والأجر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَلَهُمْ بَأْسٌ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٧) وكما قال ابن كثير فإن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يشير إلى أمة محمد ﷺ ، وكلمة أمة تشمل الحكام والمحكومين ، والدعاة والمدعوين ، ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله واجبة على الأفراد والجماعات ،

(٥) الأعراف : ١٨١ .

(٦) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠ .

(٧) النساء : ١٠٤ .

وأعتقد أن الذين يسلكون مسلك الفظاظة والتنفير - في زماننا هذا - معدودون أو قليلون ، وهم على الدعوة والدعاة محسوبون ، ولكن انضمت إليهم طائفة من أذعياء المعرفة ومن الطيبين الذين حسبوا أن الآية التي قررت وجود أمة تهدي بالحق وبه تعدل توجب على كل فرد من أفراد أمة محمد ﷺ أن يكون ضليعاً في أصول الفقه ، خبيراً بالمصالح المرسلة عند المالكية والشافعية ، عليمًا بقواعد الاستحسان الذي اعتمده الحنفية ، قادراً على الاستنباط والترجيح ، متمكناً من تفسير القرآن الكريم ، وذاك مطلب عسير ، ودعوى لم يقل بها أحد من المفسرين ، وتكليف للناس بما لا يطيقون ، ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(١٠) بل هو إعراض عن سنة الله التي أوجدت التنوع في كل شيء لينم التعاون والتآزر الذي يحقق التكامل بغية عمارة الكون ، وإلا لفسد دولا ب الحياة .

ولنضرب مثلاً لذلك بمجتمع صغير أصراً كل فرد من أفرادهِ أن يعمل في مجال الطب : الطب البلدى ، والعلمى ، والدجلى ، تاركين مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم ، فماذا يكون مصير هذا المجتمع ؟ ولا أقصد من هذا الدعوة إلى هجر الفقه والدراسات الدينية أو جعل الفقه والمعرفة الدينية وفقاً على مؤسسات رسمية وشبه رسمية أو على شهادات ودرجات علمية لها أسماء

(١٠) البقرة : ٢٨٦ .

وليقرأوا التاريخ قراءة واعية مستبصرة ؛ ليتذكروا أن الأمة المسلمة قد مرت بمحن وشدائد في دورات التاريخ المختلفة ، اتخذت صوراً وأشكالاً ، لكنها لم تقض على حقيقة الأمة الإسلامية ، ولم تمحها من الوجود ، وما ذاك إلا لوجود القرآن بينهم ، يرفع معنوياتهم ، ويرأب صدعهم ، ويجمع شملهم ، ويذكرهم - دوماً - بضرورة الدعوة إلى الحق والتمسك بالحق ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٥) .

وقد قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمراد في الآية الأمة المحمدية لحديث «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٦) .

كما يذكر القرآن الكريم بضرورة الجهاد والصبر على الشدائد وبذل كل ما يمتلكون من أجل تحقيق النصر أو الاستشهاد والأجر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَلَهُمْ بَأْسٌ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٧) وكما قال ابن كثير فإن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يشير إلى أمة محمد ﷺ ، وكلمة أمة تشمل الحكام والمحكومين ، والدعاة والمدعوين ، ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله واجبة على الأفراد والجماعات ،

(٥) الأعراف : ١٨١ .

(٦) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠ .

(٧) النساء : ١٠٤ .

ونعتقد أن التواصى بالحق والتواصى بالصبر يندرجان تحت قوله تعالى : ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ تنزيلاً لمن يحتاج إلى توجيه ديني وبصرة فقهية منزلة السائل المحتاج الذى تجب مراعاة مشاعره وكرامته فى حال اعطائه أو عدم اعطائه ، وكذلك المحتاج للمعرفة الدينية أو التبصرة الفقهية ، أو النصيحة والتوجيه عن طريق التواصى بالحق والتواصى بالصبر .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن التواصى بالحق أمر ضرورى ضرورة تصل به إلى مرحلة الوجوب أحياناً ، وقد ذكروا لتلك الضرورة مبررات عديدة ، حيث قال أحدهم :

«النهوض بالحق عسير ، والمعوقات عن الحق كثيرة : هوى النفس ، ومنطق المصلحة العامة ، وتصورات البيئة ، وطغیان الطغاة ، وظلم الظلمة ، وجور الجائرين ، والتواصى تذكير وتشجيع ، وأشعار بالقرى فى الهدف والغاية ، والأخوة فى العبء والأمانة ، فهو مضاعفة لمجموعة الاتجاهات الفردية ؛ إذ تتفاعل معاً فتتضاعف باحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ، ويحبه ولا يخذله ، وهذا الدين وهو الحق لا يقوم إلا فى حراسة جماعة متعاونة متواصية متكاملة متضامنة على هذا المثال ، والتواصى بالصبر كذلك ضرورة ، فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ، لا بد من الصبر ، لا بد من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير ، والصبر على الأذى

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إنّ شريعة كل رسول كانت موقوتةً بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله

- ١ - القرآن كله منهج دعوة ودستور حياة .
- ٢ - مقومات منهج الدعوة في القرآن الكريم :
 - أ) دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .
 - ب) تربية وإرساء للقواعد الحضارة الأخلاقية .
 - ج) تركيز على القدوة والتطبيق العملي .
 - د) دفع الغبن ورفع العوز بضمانات مثلى :
- ١ - أخذ الحكم من مصدره التشريعي الصحيح .
- ٢ - توخى العدل دون تحيز أو مجاملة .
- ٣ - الحرص على العدل في الأقوال وتجنب النجوى .
- ٤ - إشاعة مبدأ تكافل الأمة وربطه بالإيمان .
- ٥ - لا تجرم بأثر رجعي ولا تزرُ وازرةً وزر أخرى .
- هـ) دعوة إلى الأخوة الإيمانية والوحدة الإنسانية .

١ - القرآن الكريم كله منهج دعوة ودستور حياة :

القرآن الكريم يمثل منهجاً متكاملًا للدعوة إلى الله في كل زمان ومكان ، كما هو دستور حياة المسلمين في كل زمان ومكان ، ولن يستفيد الداعية من منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله إلا إذا تدبر معاني القرآن الكريم ، وامترجت تلك المعاني بروحه ومشاعره ، ثم انعكست أصداء ذلك الامتزاج في سلوكه وجوانب حياته اليومية .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

أو طائفة بعينها ، ولكنها حقٌّ لازمٌ وواجبٌ على كل من أراد الله به خيراً وفقهه في الدين ، وأجرها ثابتٌ لكل من لم يوفقه الله على التفقه في الدين ، ولكنه كان يدعو في حدود الذات أو في دائرة التواصل بالحق والتواصي بالصبر .

ولا نود أن نعيد ما قررناه قبلاً ، ولكن أعدنا الفكرة فقط لننتقل منها إلى القول بأننا نرى أن الكثيرين من الذين تصدّوا للعمل في مجال الدعوة إلى الله كتابةً وخطابةً وتمثيلاً عبر التلفاز أو شاشة «السينما» في حاجة ماسة إلى أن نقول لهم - على سبيل التواصل بالحق والتواصي بالصبر على تقبل النصيحة وتحمل النقد والتوجيه - نقول لهم : لكي تقوموا بما تمليه عليكم ضمائرکم ووجداناکم الإيمانية من تبليغ للدعوة الإسلامية على وجه أكمل وبصورة أفضل ، لا بد لكم من أن تسعوا جاهدين في طلب العلم متذكرين موقف موسى مع الخضر ؛ لتستكملوا حصيلتكم المعرفية في التفقه في الدين ، وما يستلزمه من وسائل تعبيرية ومعارف كونية ، وكحد أدنى نقترح ما يلي :

١ - دراسات إسلامية قوامها تأصيل العقيدة وفقه الشريعة إلى جانب تصحيح تلاوة القرآن الكريم وحفظ سور منه ومن الحديث النبوي .

٢ - تحصيل ثقافة لغوية وأدبية عامة تعين الداعية على سلامة التعبير وتبصّره بمقتضيات الأحوال وما يناسبها من أساليب ..

٣ - دراسة السيرة النبوية وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم ، للاستفادة من دروس التاريخ وعبره ، إلى جانب دراسة السنة المطهرة .

٤ - المأمّ عامٌ بثقافات ومعارف العصر مما يجعل الداعية ذا بصير

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنها كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

لا بد للدعاة جميعاً من أن يترسموا منهج القرآن الكريم لتصفوا أرواحهم وتطيب نفوسهم ، وتتسع صدورهم ، فلا ينفرون الناس من الأخذ بأسباب التطور والتقدم بغية عمارة الكون بعيداً عن مستنقع الدمار الأخلاقي ، فليس من الإسلام بل ليس من الحكمة في شيء أن يدعو أحد إلى الأعراض عن الدنيا ، وينفر الناس من الغنى وجمع المال إذا توفرت الوسائل المشروعة ، واقتنع الغنى أو الساعى إلى الكسب وجمع المال بأنه مستخلفٌ عليها ، وأنه لا يلهيه التكاثر حتى يزور المقابر ، فلا يتكبر ولا يستعلى بماله ، ذاكراً قول الرسول ﷺ : «يقول ابن آدم مالى ، مالى ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت ، ولبست فأبليت ، وتصدقت فأبقيت»^(١) وهذا الإبقاء الذى أشار إليه الرسول ﷺ نجده داخلاً ضمن قوله تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾^(٢) . فالمال إذن يمكن أن يكون وسيلة معينة على تحقيق بعض من الباقيات الصالحات وتوفير جزء من الزاد الذى أشار إليه الشاعر بقوله :

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التُّقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثل
فترصد للأمر الذى كان أرصدا
﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾^(٣) .

(١) الترمذى فى جامعة - رقم ٢٣٤٢ .

(٢) الكهف : ٤٦ . (٣) البقرة : ١٩٧ .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

وما ذاك إلا لأن الحكمة أو الموعظة الحسنة من شأنها أن تجمع ولا تفرق ، وأن تقوى الأمل واليقين « بل ترتفع بالمدعوين إلى مستوى الشعور بتبعة المسؤولية والتكليف ، ومن شأن الشعور بتبعة المسؤولية أن يغير طبائع الناس ، وواجب الدّاعية أن يعمل على إيقاظ مثل هذا الشعور بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا على إخماده بالتسجيل على المدعوين ضياع الدنيا والآخرة رغم ما يتحلون به من إيمان وخلق ، فهو عندئذ يميت فيهم الشعور بالرحمة والأمل فيها ، ويعمّق في نفوسهم اليأس ، بل ربّما جعل قلوبهم في أكنة ممّا يدعوهم إليه ، وهذا مناف تماماً لنهج القرآن الكريم الذى أمر الرسول ﷺ أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومناف لمنهج القرآن الكريم الذى اختطّ لكلّ مسلم كيف يُذكر نفسه بالرجاء المستمرّ في عفو الله ورحمته ، وبالخوف المستمرّ من عقابه ، وذلك عندما يؤدى صلوات كل يوم وليلة ، فهو حينما يقول «الرّحمن الرحيم» يكون في دائرة الرجاء ، وبحسّ بحلاوة إيمانه وعذوبة عمله الصالح ، وعندما يقول : ﴿مالك يوم الدين﴾ ترتعد فرائضه ويستشعر بالخوف من مالك يوم الدين ، خوف رغبة وحرص على أن يتداركه الله بفضله ورحمته ، لا خوف يأس وقنوط إذ اليأس بغيب مدموم ، بل هو خروج عن دائرة الإيمان ﴿إنّه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾^(٦) ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضّالّون﴾^(٧) فلتعلم أسلوب الدعوة إلى الله بالتى هى أحسن من القرآن الكريم عبارة ومضموناً ، ولتأخذ مثلاً لذلك أسلوب آيات الوصايا العشر في سورة الأنعام ، حيث رسمت إطاراً لمنهج

(٦) يوسف : ٨٧ .

(٧) الحجر : ٥٦ .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

«أى فبسبب رحمة من الله أودعها في قلبك يا محمد كنت هاشماً
لبن الجاناب مع أصحابك مع أنهم خالفوا أمرك وعصوك ، ولو
كنت جافى الطبع قاسى القلب ، تعاملهم بالغلظة والجفاء لتفرقوا
عنك ونفروا منك ، فتجاوز عمّا نالك من أذاهم يا محمد ، وأطلب
لهم من الله المغفرة ، وشاورهم في جميع أمورك ليقتنى بك
الناسُ» ، قال الحسن «ماشاور قوم قطُّ إلا هدوا لارشد أمورهم ،
وكان عليه الصلاة والسلام كثير المشاورة لأصحابه»^(٩) وقد التزم
الرسول ﷺ بذلك المنهج الرباني فعدا كل موقف من مواقفه ، بل
كل جانب من جوانب حياته معجزة من أجل وأعظم المعجزات ،
نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ - اطمئنان قرشي إليه في أموالها وذخائرها على الرغم مما بينها وبينه
من خلاف عقدي ، وما ذاك إلا لما في صدق الرسول ﷺ
وأمانته من معجزات باهرات .

٢ - عفوه عن وحشى قاتل حمزة لما أسلم ، إلا أن طبيعة البشرية قد
غلبته ، ومع ذلك لم يخرج عن المنهج القويم ، ولم يلحق الأذى
بمن التزم الصراط المستقيم ، فما كان منه إلا أن قال لوحشى لا
تجعلنى أراك ، فكان يتوارى عن عينيه .. فكم من الدعاة
اليوم يستطيعون كظم غيظهم ، وتحمل الأذى في سبيل
رضوان الله ؟

هذا وقد كان الجاهليون يعتبرون مثل هذا التصرف ضيماً
وإهانةً ويقولون :

ولا يقيم على ضيمٍ يراد به
إلا الاذلان غير الحى والوتد

(٩) محمد على الصابوني - صفوة التفاسير ج ١ ص ٢٤٠ .

وليقرأوا التاريخ قراءة واعية مستبصرة ؛ ليتذكروا أن الأمة المسلمة قد مرت بمحن وشدائد في دورات التاريخ المختلفة ، اتخذت صوراً وأشكالاً ، لكنها لم تقض على حقيقة الأمة الإسلامية ، ولم تمحها من الوجود ، وما ذاك إلا لوجود القرآن بينهم ، يرفع معنوياتهم ، ويرأب صدعهم ، ويجمع شملهم ، ويذكرهم - دوماً - بضرورة الدعوة إلى الحق والتمسك بالحق ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٥) .

وقد قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمراد في الآية الأمة المحمدية لحديث «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٦) .

كما يذكر القرآن الكريم بضرورة الجهاد والصبر على الشدائد وبذل كل ما يمتلكون من أجل تحقيق النصر أو الاستشهاد والأجر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَلَهُمْ بَأْسٌ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٧) وكما قال ابن كثير فإن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يشير إلى أمة محمد ﷺ ، وكلمة أمة تشمل الحكام والمحكومين ، والدعاة والمدعويين ، ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله واجبة على الأفراد والجماعات ،

(٥) الأعراف : ١٨١ .

(٦) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠ .

(٧) النساء : ١٠٤ .

واحتمال الأذى ورؤية جانيه

غذاء تضيوى به الأجسام

وتلك تصرفات ومواقف لا تقبل من حكام يمتنون إلى
الإسلام بصلة .

وإذا كانت تلك المواقف مستغربة مستهجنة فعجب منها
اعراض أولئك الحكام عن الإسلام وترديدهم القول بأنه قاسر
ولا يتناسب مع حضارة العصر !!

وتلك فرية ما فيها مزية ، خاصة عندما تصدر من الذين لا
يحلوا لهم شيء مثل الانتقام والتنكيل بالعقوبة . ومن ثم نقول
لهؤلاء لتعلموا أن الهدف من العقوبة في الإسلام هو الردع
والزجر وليس الانتقام والتنكيل بالناس .

وفي الردع والزجر ما فيهما من صون للدماء وحفظ لحياة
الناس . كل الناس الأبرياء المتقين أو الأشرار المجرمين . حينما
يرتدعوا وينزجروا عن ارتكاب الجرائم ..

ب) تربية وارساء لقواعد الحضارة الأخلاقية :

يُعنى القرآن الكريم بتربية من يدعوهم إلى الله تربية متكاملة
متجانسة عبر جميع الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم ؛ إذ أنه
صنغ جميع تلك الموضوعات بصيغة الهدى والارشاد ، وجعلها
جميعاً - رغم تباينها واختلافها - تناسك وتشد بعضها بعضاً ، من
أجل تحقيق تلك الغاية والهدف التربوي ..

ومن ثم يمكن لكل قارئ للقرآن الكريم قراءة تدبر أن يدرك
ويستشعر استشعاراً عميقاً معنى العبودية لله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ . ولهذا كان في مقدمة التوجيهات التربوية

وليقرأوا التاريخ قراءة واعية مستبصرة ؛ ليتذكروا أن الأمة المسلمة قد مرت بمحن وشدائد في دورات التاريخ المختلفة ، اتخذت صوراً وأشكالاً ، لكنها لم تقض على حقيقة الأمة الإسلامية ، ولم تمحها من الوجود ، وما ذاك إلا لوجود القرآن بينهم ، يرفع معنوياتهم ، ويرأب صدعهم ، ويجمع شملهم ، ويذكرهم - دوماً - بضرورة الدعوة إلى الحق والتمسك بالحق ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٥) .

وقد قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمراد في الآية الأمة المحمدية لحديث «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٦) .

كما يذكر القرآن الكريم بضرورة الجهاد والصبر على الشدائد وبذل كل ما يمتلكون من أجل تحقيق النصر أو الاستشهاد والأجر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَلَهُمْ بَأْسٌ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٧) وكما قال ابن كثير فإن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يشير إلى أمة محمد ﷺ ، وكلمة أمة تشمل الحكام والمحكومين ، والدعاة والمدعوين ، ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله واجبة على الأفراد والجماعات ،

(٥) الأعراف : ١٨١ .

(٦) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠ .

(٧) النساء : ١٠٤ .

المسلمة كلها ، وسيبقى قائداً ودليلاً للإنسانية كلها ، إذا تمسكت به وعملت بتوجيهاته ؛ إذ سيوجهها إلى ما هو خير وأبقى « ويبصرها بالحضارة الأخلاقية الحقة ، حضارة توافق الفطر البشرية وتتواءم مع النفوس الإنسانية ، ولهذا قال الرسول ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أى أنه جاء ليتمم الصّرح الإلهى الذى بناه الرّسل والأنبياء السابقون له على مرّ العصور وحسب توجيه الله وهدايته لهم .

والذين يتساءلون عن الحضارة التى بناها وبينها القرآن الكريم عند التمسك بتوجيهاته نقول لهم : أمعنوا النظر جيداً فى قوله تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢) .

وفى قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِى هُوَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ .

بتلك الهداية الموصوفة بأنها أقوم وأعدل تمكن القرآن الكريم من ارساء قواعد الحضارة الحقة ، حيث قنن للذوق والأدب فى العلاقات الاجتماعية ، وفى المظهر والتحشّم ، ثم فى الآداب العامة وغيرها ، إلى جانب الأصول التى وضعها العليم الخبير لتركية النفوس وتطهيرها بالعبادات ، وتنمية الأموال وتطهيرها بالصدقات والزكوات ، وبالعمل المشروع فى كل مناحى الحياة .

والقرآن الكريم لم يشغل المسلمين فى كلّ ذلك بموادّ وتفرعات أو مذكرات تفسيرية ، ولم يكل أمر مراقبة تنفيذ العبد للعبادات أو عدم تنفيذه إلى رجال الشرطة والأمن أو غيرهم ، ولكّنه ترك الأمر

وليقرأوا التاريخ قراءة واعية مستبصرة ؛ ليتذكروا أن الأمة المسلمة قد مرت بمحن وشدائد في دورات التاريخ المختلفة ، اتخذت صوراً وأشكالاً ، لكنها لم تقض على حقيقة الأمة الإسلامية ، ولم تمحها من الوجود ، وما ذاك إلا لوجود القرآن بينهم ، يرفع معنوياتهم ، ويرأب صدعهم ، ويجمع شملهم ، ويذكرهم - دوماً - بضرورة الدعوة إلى الحق والتمسك بالحق ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٥) .

وقد قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمراد في الآية الأمة المحمدية لحديث «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٦) .

كما يذكر القرآن الكريم بضرورة الجهاد والصبر على الشدائد وبذل كل ما يمتلكون من أجل تحقيق النصر أو الاستشهاد والأجر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَلَهُمْ بَأْسٌ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٧) وكما قال ابن كثير فإن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يشير إلى أمة محمد ﷺ ، وكلمة أمة تشمل الحكام والمحكومين ، والدعاة والمدعويين ، ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله واجبة على الأفراد والجماعات ،

(٥) الأعراف : ١٨١ .

(٦) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠ .

(٧) النساء : ١٠٤ .

بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر
ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿١٣﴾ .

فما أن سمع معقل هذه الآية إلا وقال : السمع والطاعة لرنا ،
فدعا طليق أخته ، فقال له أزوجك وأكرمك .

وهذا يعنى أن القرآن الكريم كان المرشد والموجه ، وكان هو
المنهج اليومي الذى يتلقاه المسلمون للعمل به فى جميع جوانب
حياتهم ، الدينية والدنيوية ، وقد كان منهجاً متكاملأ فريداً ، يتضح
تكامله من خلال القواعد العامة والأطر الكبيرة التى وضعها لتحرك
المسلمين فى شتى المجالات .

نأخذ مثلاً لذلك قصة معقل السابقة ، حيث لم تصرّح الآية
باسمه ، ولم تشر إليه من قريب أو بعيد ، لماذا يا ترى ؟ لأن الآية
أرادت أن تحل المعضلة الحالية ، وفى ذات الوقت تضع إطاراً عاماً
للمسلمين ، لذا جاء التعميم فى كثير من ألفاظ الآية وعباراتها ﴿إذا
طلقت النساء﴾ ﴿ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله﴾ ﴿فمن﴾ لا
تعنى شخصاً بعينه وهكذا ...

هذا الأسلوب القرآنى فى علاج المشكلات ورسم الخطط
المستقبلية لتفاديها وتداركها دون تشهير بأحد أو إحراج لأحد ، هو
المنهج التربوى السليم .

فمن يرجع إلى قصة حاطب بن أبى بلتعة فى جميع المصادر التى
عنيت بذكرها خاصة كتب التفسير يجدها صورة ناطقة ومعبرة عن
لحظة من لحظات الضعف البشرى ، صورة تهز فكر كل من يعرف
شيئاً عن ذلك الصحابى الجليل ، تهز هزاً عتيفاً ، وتجعله يرجع
البصر كرتين فيرتد إليه بصره كليلاً ، كما حدث لابن الخطاب الذى

(١٣) البقرة : ٢٣٢ .

وليقرأوا التاريخ قراءة واعية مستبصرة ؛ ليتذكروا أن الأمة المسلمة قد مرت بمحن وشدائد في دورات التاريخ المختلفة ، اتخذت صوراً وأشكالاً ، لكنها لم تقض على حقيقة الأمة الإسلامية ، ولم تمحها من الوجود ، وما ذاك إلا لوجود القرآن بينهم ، يرفع معنوياتهم ، ويرأب صدعهم ، ويجمع شملهم ، ويذكرهم - دوماً - بضرورة الدعوة إلى الحق والتمسك بالحق ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٥) .

وقد قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمراد في الآية الأمة المحمدية لحديث «ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٦) .

كما يذكر القرآن الكريم بضرورة الجهاد والصبر على الشدائد وبذل كل ما يمتلكون من أجل تحقيق النصر أو الاستشهاد والأجر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَلَهُمْ بَأْسٌ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٧) وكما قال ابن كثير فإن قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يشير إلى أمة محمد ﷺ ، وكلمة أمة تشمل الحكام والمحكومين ، والدعاة والمدعوين ، ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله واجبة على الأفراد والجماعات ،

(٥) الأعراف : ١٨١ .

(٦) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٠ .

(٧) النساء : ١٠٤ .

والنفس اللوامة ، كل تلك الأشياء ما هي إلا أسسٌ ودعائمٌ قويّة ثابتة لبناء الحضارة الأخلاقية التي تنفّر عنها جميع الفضائل الأخلاقية الأخرى والتي أشرنا إليها في ثنايا البحث السابق .
(ج) تركيز على القدوة والتطبيق العملي :

لم يكتفِ القرآن الكريم بوضع الأسس والقواعد ثم الأطر الكبيرة وحسب ، أى لم يتركها حبيسة بين دفتي المصحف ، أو في أضياف الصحف التي حررها الدارسون لموضوعات القرآن المختلفة ، ولكنه وضع الأسس والقواعد والأطر وجعلها ذوات فاعلية وإيجابية مستمرة عندما ربط بينها وبين الجوانب العملية ربطاً محكماً جاعلاً الرسول ﷺ قدوة المؤمنين فيها ، ﴿وَلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١٥) كما أكد الرسول ﷺ وعمّق هذا الجانب العملي بأعماله وأقواله حيث قال : «الدِّينُ الْمَعَامَلَةُ» وحيث عرف بخلقه العظيم ومواقفه الكريمة المتعددة الجوانب .

وعندما نتتبع خطوط النور المبين في القرآن الكريم نجد أضواء ساطعة في هذا الجانب ، إذ تؤكد كثير من الآيات أن المؤمن لا يكون مؤمناً حقاً لمجرد الإيمان العميق بالله وبالحقائق المنزلة ، ولكن يجب عليه أن يترجم ذلك الإيمان إلى واقع عملي يؤكد صحة إيمانه وعمقه وقوته - كما ذكرت من قبل - بحيث يصبح جهده ووقته وماله وجسده وفكره مسخّرة من أجل العقيدة التي آمن بها ، ومرتبطة بها أتم ارتباط ، وهذا يعنى أن تكون حياته كلها عبادةً لله تبارك وتعالى ، لا استثناء في ذلك أى أن هذه العبادة تشمل : البيع والشراء ، والعلم والتعليم ، والسياسة والجهاد ، وذلك بالتزام شرع الله في كل تلك الأمور ، خوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه .

(١٥) الممتحنة : ٦ .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

﴿سنلقى عليك قولاً ثقيلاً﴾^(٢٠) وقال ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾^(٢١).

وقد وُفّق الرسول ﷺ في تبليغ الرسالة وأداء الأمانة بصورة مثلى ، ومن ثمّ كان قدوةً في أقواله وأعماله وتقريراته .
القدوة العملية لها الأثر في النفوس « خاصة عندما يراد لتلك النفوس أن تقلع عن التشبّث بعبادات رسخت وتأصلت ويريد المشرّع إزالتها أو إقلاع النَّاس عنها ؛ ذلك لأن التشريع وحده سوف لا يكون له قوة الدّفع والحفز مثلاً يكون له في حال تعاقفه مع القدوة العملية .

فالرسول ﷺ كان يقول لأتباعه «صلوا كما رأيتموني أصلي» ، لم يقل صلوا وهو غافل عن الصلاة باجتماع أو لقاء ، - حاشاه - ، ولم يقل اذهبوا وقاتلوا واني ها هنا قاعد أرقبكم من على البعد وأتوقع نصركم ونسفكم للعدو ، وحاشاه أن يكون من القاعدين - ، ولكئنه كان يتقدمهم في كثير من مواطن الجهاد والقتال ليضع الحطة والمنهج ، ويرسم القدوة العملية ، وهو لم يفعل ما فعله إلاّ بتوجيه من الله تبارك وتعالى ، ولهذا قالت - عنه أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها : «كان خلقه القرآن» .

ولاهتمام القرآن الكريم بالقدوة والتطبيق العملي سلك مسلكاً عملياً في الأجوبة على جميع الأسئلة التي وجهت إلى رسول الله ﷺ ، حيث ركز على وضع المبادئ التي توجّه المسلمين نحو الأهداف والغايات العملية وتصرفهم عن العلل والأسباب التي كثيراً ما تقل درجة أهميتها ، وهذا يتفق مع الهدف والغاية من ارسال

(٢٠) المزمل : ٥ .

(٢١) الأنعام : ١١٦ .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنما كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

(الأسلوب الحكيم) ؛ إذ ليس من الفائدة أن يقيدهم القرآن بحقائق بعينها من الجبال التي سألوا عنها ، ولكن الأنفع لهم أن تترك لعقولهم وأفكارهم حرية التفكير في حقائق الجبال وما فيها من منافع ومضار لهم ، يكتشفونها حيناً بعد حين ، حسب توفيق الله لهم ، كما أن الأنفع والذي ينبغي أن يستقر في نفوس السائلين بصورة لا تحتل إرجاء ولا تحتل تأخيراً ولا يطرأ عليها تبديل أو تغيير مهما ارتقى العقل والفكر - الذي ينبغي أن يستقر في النفوس هو أن لتلك الجبال رباً ، وأنه سينسفها يوماً - لا محالة - ويذرهما قاعاً صفصفاً ، وذلك تصويراً لعظمة الله جلّ جلاله ، وإشعاراً للسائلين بقدرته الله عزّ وجلّ ، وتأكيذاً للقارة التي بيّنتها سورة أخرى : ﴿ القارة ما القارة وما أدراك ما القارة ﴾ يوم يكون الناس كالفرش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش . فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأما هاهنا .

هذه الآيات وتلك تؤكد للإنسان أنّ القارة قد أثّرت في الجبال القوية العظيمة رغم أنها قوية عظيمة ، فكيف يكون حال الإنسان الضعيف المقصود بالتكليف والحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين ويقول لهم أنا المليك . حيث الحديث القدسي « يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء يمينه ثم يقول : أنا المليك أين ملوك الأرض » (٢٧) ..

ذاك مثال واحد من الأجوبة التي تشير إلى الجوانب العملية النافعة لهم ، أما السؤال « عن النظريات البحتة التي لا يتعلق بها نفع في الدنيا ولا ثواب في الآخرة » فهذا ليس من شأن المؤمنين العاملين ، فلا ينبغي أن يسأل عن الأرواح بعد مفارقتها للأجساد

(٢٧) محمود شلتوت - تفسير القرآن الكريم - ص ٥٤٧ - ٥٤٨ .

أين تكون ؟ وماذا تعمل ؟ ولا ينبغي أن يسأل عن كيفية الميزان ، ولا كيفية الوزن . ولا عن الوزن ، ولا عن أرض الجنة ، ولا عن سمائها ، وما إلى ذلك مما شغل به المسلمون أنفسهم ، وملاً كثير من علمائهم به كتبهم ، وصرفوا به الناس عن معرفة الخير وعمل الخير» (٢٨) .

فلو عني علماء المسلمين وحكامهم بالجوانب العملية وأصبحوا قدوةً لأتباعهم لتحققت العزة للمسلمين بأيسر طريق ، إذ سيدركون جميعاً وقتذاك أهمية أشياء كثيرة ذات تأثير كبير في حياتهم وتوجيه مسارها ، أقرب تلك الأشياء إدراك الجوانب العملية من ارتفاع المآذن وارتفاع صوت الأذان بالنداء قبل كل صلاة ، فيتعلم كل مؤمن رفع الصوت في قول الحق ، ويتعلم كيف يرفض الضيم ويرفض الظلم ولا يحنى رأسه لغير الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولا يستسلم للضيم والظلم من أعداء الأمة والدين ، لكنه يدفع الظلم ويغير المنكر بيده إن استطاع ، وإلا فبلسانه وقلبه ، ولو على سبيل التردد والتذكير بقول الله عز وجل : ﴿ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾ (٢٩) ثم التردد لقول الشاعر الذي احتج على المستعمر الأجنبي قائلاً :

كسروا الأفلام هل تكسيرها	يمنع الأيدي أن تنقش صخرا ؟
قطعوا الأيدي هل تقطيعها	يمنع الأعين أن تنظر شزرا ؟
اطفشوا الأعين هل اطفأوها	يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا ؟
أحمدوا الأنفاس هذا جهدكم	وبه منجاتنا منكم فشكرا ؟

(٢٨) الشيخ علي الطنطاوي - تعريف عام بالإسلام .

(٢٩) النساء : ١٠٤ .

يتعلم المؤمن من القرآن الكريم ومن التطبيقات العملية للدعاة أن الحياة تفقد قيمتها وروعها ولذتها حينما يطغى الطغاة ويتشرب استبداد المستبدين ويستحيل أداء الواجبات الربانية فضلاً عن المستحبات أو الفضائل العامة ، عند ذلك يستعذب المؤمن الموت في سبيل عقيدته ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً﴾ (٣٠) .
قف دون رأيك في الحياة مجاهداً إن الحياة عقيدة وجهاد

(د) دفع الغبن ورفع العوز بضمانات مثلى :

كما عني القرآن الكريم بتوجيه التشريعات وتعليلها ، أو بيان بعض الحكمة من ورائها ، ليطمئن قلب المؤمن ويسارع إلى التنفيذ والامتثال لشرع الله ، كذلك عني بدفع الغبن ورفع العوز والحاجة التي قد تطرأ وتدهام المؤمن وتشل حركته الإيمانية ، أى تؤثر في أعماله - وعمل المؤمن كله عبادة لله - وقد كانت عناية القرآن بهذا الجانب عظيمة ، وجاءت متمثلة في التوجيه نحو العناية والاهتمام بعناصر العدل والعدالة ، والتي نراها تتمثل فيما يلي :

١ - أخذ الحكم من مصدره التشريعي الصحيح :

حيث دعا القرآن الكريم إلى أخذ الحكم من مصدره التشريعي الصحيح ، وأكد أن العدول عن ذلك يعدُّ غبناً وظلماً فادحاً ، بل هو شرك وكفر ، إذ لا يجوز لأحد أن يُشرع في الدوائر التي لم يوكل أمرها للعقل البشرى والتي تولّاها الله سبحانه وتعالى وأنزل بشأنها تشريعاً ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣١)

(٣٠) آل عمران : ١٦٩ .

(٣١) المائدة : ٤٤ .

أين تكون ؟ وماذا تعمل ؟ ولا ينبغي أن يسأل عن كيفية الميزان ، ولا كيفية الوزن . ولا عن الوزن ، ولا عن أرض الجنة ، ولا عن سمائها ، وما إلى ذلك مما شغل به المسلمون أنفسهم ، وملاً كثير من علمائهم به كتبهم ، وصرفوا به الناس عن معرفة الخير وعمل الخير» (٢٨) .

فلو عني علماء المسلمين وحكامهم بالجوانب العملية وأصبحوا قدوةً لأتباعهم لتحققت العزة للمسلمين بأيسر طريق ، إذ سيدركون جميعاً وقتذاك أهمية أشياء كثيرة ذات تأثير كبير في حياتهم وتوجيه مسارها ، أقرب تلك الأشياء إدراك الجوانب العملية من ارتفاع المآذن وارتفاع صوت الأذان بالنداء قبل كل صلاة ، فيتعلم كل مؤمن رفع الصوت في قول الحق ، ويتعلم كيف يرفض الضيم ويرفض الظلم ولا يحنى رأسه لغير الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولا يستسلم للضيم والظلم من أعداء الأمة والدين ، لكنه يدفع الظلم ويغير المنكر بيده إن استطاع ، وإلا فبلسانه وقلبه ، ولو على سبيل التردد والتذكير بقول الله عز وجل : ﴿ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾ (٢٩) ثم التردد لقول الشاعر الذي احتج على المستعمر الأجنبي قائلاً :

كسروا الأفلام هل تكسيروها	يمنع الأيدي أن تنقش صخرا ؟
قطّعوا الأيدي هل تقطيعها	يمنع الأعين أن تنظر شزرا ؟
اطفئوا الأعين هل اطفأوها	يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا ؟
أحمدوا الأنفاس هذا جهدكم	وبه منجأتنا منكم فشكرا ؟

(٢٨) الشيخ علي الطنطاوي - تعريف عام بالإسلام .

(٢٩) النساء : ١٠٤ .

للعقل البشرى يكون هذا المشارك قد خرج عن دائرة الإيمان ، ويكون قد ظلم نفسه بنفسه بنقض عهدها وميثاقها ، ويجلب العقاب الأليم لها يوم الدين ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ (٣٥) ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٦) ذاك ظلمه لنفسه ، أما ظلمه للآخرين فيتمثل في إغوائهم وحرمانهم من الخير الدنيوى بسبب تحريمه عليهم الطيبات ، ومن الثواب الأخرى بسبب تحليله لهم المحرمات ، فهو فى الضالين يكون قد قطع طريق الخير والحق عن الخلق ، وربما كان ذنبه أكبر من ذنبهم إذا ارتكبوا تلك المحرمات ؛ لأنهم لا يعرفون الحكم وقد ضلُّوا ، أما هو فعارفٌ لحكم الله ، لكنَّه منكر له ومفضل حكم البشر على حكم الله فى المسائل التى لم يكمل الله أمرها للبشر ..

٢ - توخى العدل دون تحيز أو تحامل :

ضماناً لتوفير العدل والعدالة كانت المهمة التى نيّطت برسول الله ﷺ ، وبخلفائه الراشدين ، بل بكل حاكم تولّى أمر المسلمين ، هى توخى العدل ، والحكم بين الناس بالحق الذى لا يجافى الواقع ولا يعرف التحيز أو التحامل ، ولو كان المحكوم له أو عليه عدواً أو مجرمًا ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (٣٧) وقال : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْغَائِثِينَ خَصِيماً ، واستغفر الله إِنَّ الله كان غفوراً رحيمًا ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، إِنَّ الله لا يحب من كان خَوَّانًا أَثِيماً ، يستخفون

(٣٥) عيسى : ٣٤ .

(٣٦) النحل : ١١٨ .

(٣٧) المائدة : ٨ .

أين تكون ؟ وماذا تعمل ؟ ولا ينبغي أن يسأل عن كيفية الميزان ، ولا كيفية الوزن . ولا عن الوزن ، ولا عن أرض الجنة ، ولا عن سمائها ، وما إلى ذلك مما شغل به المسلمون أنفسهم ، وملاً كثير من علمائهم به كتبهم ، وصرفوا به الناس عن معرفة الخير وعمل الخير» (٢٨) .

فلو عني علماء المسلمين وحكامهم بالجوانب العملية وأصبحوا قدوةً لأتباعهم لتحققت العزة للمسلمين بأيسر طريق ، إذ سيدركون جميعاً وقتذاك أهمية أشياء كثيرة ذات تأثير كبير في حياتهم وتوجيه مسارها ، أقرب تلك الأشياء إدراك الجوانب العملية من ارتفاع المآذن وارتفاع صوت الأذان بالنداء قبل كل صلاة ، فيتعلم كل مؤمن رفع الصوت في قول الحق ، ويتعلم كيف يرفض الضيم ويرفض الظلم ولا يحنى رأسه لغير الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولا يستسلم للضميم والظلم من أعداء الأمة والدين ، لكنه يدفع الظلم ويغير المنكر بيده إن استطاع ، وإلا فبلسانه وقلبه ، ولو على سبيل التردد والتذكير بقول الله عز وجل : ﴿ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾ (٢٩) ثم التردد لقول الشاعر الذي احتج على المستعمر الأجنبي قائلاً :

كسروا الأفلام هل تكسيروها	يمنع الأيدي أن تنقش صخرا ؟
قطّعوا الأيدي هل تقطيعها	يمنع الأعين أن تنظر شزرا ؟
اطفئوا الأعين هل اطفأوها	يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا ؟
أحمدوا الأنفاس هذا جهدكم	وبه منجأتنا منكم فشكرا ؟

(٢٨) الشيخ علي الطنطاوي - تعريف عام بالإسلام .

(٢٩) النساء : ١٠٤ .

قطعة من النار ، فليأخذها أو ليركها .

وقد كان الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون المهديون يعتمدون على تشريع الله في الحكم ، ثم يجتهدون في فهم الحادثة من جميع جوانبها متحررين انطباق الحكم عليها ، وهم لا يفرقون بين الخصوم في مجلس القضاء ، فضلاً عن أن يتحيزوا أو يتحاملوا ، وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك ، وهو الذي عصمه ربه وهداه ، وعرف بين قومه قبل البعثة بالصادق الأمين .

٢ - الحرص على العدل في الأقوال وتجنب النجوى :

العدل الذي دعا إليه القرآن الكريم لم يكن مقصوراً على الأعمال فقط ولكنه شمل الأقوال أيضاً ، وذلك تحوطاً وتحزناً من أن تبقى ثغرة يتكئ عليها الظالمون فيوقعوا ظلمهم على الأبرياء الضعفاء من عباد الله ، بغية إضعاف حياتهم ، وإفساد مجتمعهم ، والخط من كرامتهم بالكذب والغش ، أو بالمكائد والدسائس التي تبني أساساً على الكذب والخداع .

لهذا كان القرآن الكريم حريصاً - كل الحرص - على زرع الصدق في قلوب المؤمنين وحياته في نفوسهم ؛ ليحيوا في الدنيا حياة طيبة ، وينعموا في الآخرة مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً ، بل إن بعض آيات القرآن الكريم قد حصرت الصدق والتقوى في المؤمنين الذين استكملوا كل عناصر البر ، تلك العناصر التي حصرتها القرآن الكريم في :

(أ) الإيمان بالله واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتب المنزل ، والرسول ، والأنبياء والقدر خيره وشره .

(ب) الانفاق في سبيل الله من مال الله الذي استخلفهم عليه .

أين تكون ؟ وماذا تعمل ؟ ولا ينبغي أن يسأل عن كيفية الميزان ، ولا كيفية الوزن . ولا عن الوزن ، ولا عن أرض الجنة ، ولا عن سمائها ، وما إلى ذلك مما شغل به المسلمون أنفسهم ، وملاً كثير من علمائهم به كتبهم ، وصرفوا به الناس عن معرفة الخير وعمل الخير» (٢٨) .

فلو عني علماء المسلمين وحكامهم بالجوانب العملية وأصبحوا قدوةً لأتباعهم لتحققت العزة للمسلمين بأيسر طريق ، إذ سيدركون جميعاً وقتذاك أهمية أشياء كثيرة ذات تأثير كبير في حياتهم وتوجيه مسارها ، أقرب تلك الأشياء إدراك الجوانب العملية من ارتفاع المآذن وارتفاع صوت الأذان بالنداء قبل كل صلاة ، فيتعلم كل مؤمن رفع الصوت في قول الحق ، ويتعلم كيف يرفض الضيم ويرفض الظلم ولا يحنى رأسه لغير الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولا يستسلم للضيم والظلم من أعداء الأمة والدين ، لكنه يدفع الظلم ويغير المنكر بيده إن استطاع ، وإلا فبلسانه وقلبه ، ولو على سبيل التردد والتذكير بقول الله عز وجل : ﴿ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾ (٢٩) ثم التردد لقول الشاعر الذي احتج على المستعمر الأجنبي قائلاً :

كسروا الأفلام هل تكسيروها	يمنع الأيدي أن تنقش صخرا ؟
قطّعوا الأيدي هل تقطيعها	يمنع الأعين أن تنظر شزرا ؟
اطفئوا الأعين هل اطفأوها	يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا ؟
أحمدوا الأنفاس هذا جهدكم	وبه منجاتنا منكم فشكرا ؟

(٢٨) الشيخ علي الطنطاوي - تعريف عام بالإسلام .

(٢٩) النساء : ١٠٤ .

الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد^(٤٤) .
وما ذاك إلا لأن الكذب خداع وخيانة ، والكذب تأمر
ومكيدة ، وكلها أمور ضارة بالجمتمع « منافية لقواعد العدل
والعدالة ، ولهذا حذر القرآن الكريم من الكذب ورغب في
الصدق ، ارساء لقواعد العدل الذي أرسل الرُّسل لإقامته في
الأرض .

ولم يطالب القرآن المسلمين بالصدق في القول المعلن فقط ، إنما
طالبهم بالصدق فيه وفي النجوى أيضاً ، حيث قال :

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتُم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان
ومعصية الرُّسول وتناجوا بالبرِّ والتقوى واتقوا الله الذي إليه
تحشرون ، إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس
بضارِّهم شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾^(٤٥) وحيث
قال : ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو
إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه
أجرًا عظيمًا ، ومن يشاقق الرُّسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوَّله ما توَلَّى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾^(٤٦)

فالقرآن الكريم لم يمنع الناس من النجوى إلا لأن كثيراً من
الناس قد يضعف إيمانهم ومن ثم يصطنعون هذا الخُلُق وسيلةً أو
سبيلاً للافساد بين الأسر والجماعات والأفراد ، ولهذا كان المنع من
النجوى في القرآن الكريم ، وكان قول رسول الله ﷺ : «إذا كان
ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الثالث» « وفي رواية أخرى : «إذا كنتم
ثلاثة رجال فلا يتناجى رجلان دون الثالث ، حتى يختلطوا بالناس

(٤٤) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٤٥) المجادلة : ٩ - ١٠ .

(٤٦) النساء : ١١٤ .

أين تكون ؟ وماذا تعمل ؟ ولا ينبغي أن يسأل عن كيفية الميزان ، ولا كيفية الوزن . ولا عن الوزن ، ولا عن أرض الجنة ، ولا عن سمائها ، وما إلى ذلك مما شغل به المسلمون أنفسهم ، وملاً كثير من علمائهم به كتبهم ، وصرفوا به الناس عن معرفة الخير وعمل الخير» (٢٨) .

فلو عني علماء المسلمين وحكامهم بالجوانب العملية وأصبحوا قدوةً لأتباعهم لتحققت العزة للمسلمين بأيسر طريق ، إذ سيدركون جميعاً وقتذاك أهمية أشياء كثيرة ذات تأثير كبير في حياتهم وتوجيه مسارها ، أقرب تلك الأشياء إدراك الجوانب العملية من ارتفاع المآذن وارتفاع صوت الأذان بالنداء قبل كل صلاة ، فيتعلم كل مؤمن رفع الصوت في قول الحق ، ويتعلم كيف يرفض الضيم ويرفض الظلم ولا يحنى رأسه لغير الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولا يستسلم للضميم والظلم من أعداء الأمة والدين ، لكنه يدفع الظلم ويغير المنكر بيده إن استطاع ، وإلا فبلسانه وقلبه ، ولو على سبيل التردد والتذكير بقول الله عز وجل : ﴿ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾ (٢٩) ثم التردد لقول الشاعر الذي احتج على المستعمر الأجنبي قائلاً :

كسروا الأفلام هل تكسيروها	يمنع الأيدي أن تنقش صخرا ؟
قطّعوا الأيدي هل تقطيعها	يمنع الأعين أن تنظر شزرا ؟
اطفئوا الأعين هل اطفأوها	يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا ؟
أحمدوا الأنفاس هذا جهدكم	وبه منجأتنا منكم فشكرا ؟

(٢٨) الشيخ علي الطنطاوي - تعريف عام بالإسلام .

(٢٩) النساء : ١٠٤ .

حربٍ وتضييق على الفقراء ، عُنِيَ القرآن الكريم ببيان وظيفة المال في الحياة الدنيا ، كما عُنِيَ بالفرد المسلم ليعمر قلبه بالإيمان حتى لا تكون فيه أية مساحةٍ لعبادة الأموال وتقديسها ، أو التكاثر والتفاخر ، وبذلك تصبح الأموال جارية متوفرة في أيدي المسلمين ، وليست في قلوبهم ، يجمعونها من حلال ، وينفقونها في حلال دون من رياء ؛ إذ ينفق أحدهم بيمينه ، حتى لا تعلم شماله ماذا انفقت يمينه ، ودون حسرة أو ندم على الانفاق في وجوه البر والخير ، طالما كانت الأموال وكل ما في الكون ملكاً لله ، وطالما كان الإنسان عبداً لله مستخلفاً في أموال الله ؛ لينفع بها نفسه وذويه وبقية عباد الله ..

ومن ثم جاءت أحكام القرآن الكريم شاملة كل ما من شأنه أن يساعد في استقرار الحياة ، وتهذبة النفوس ، واطمئنان القلوب ، أهم تلك الأحكام هي التي وجهت المؤمن وطلبت منه أن ينصرف بجد واجتهاد إلى العمل وفي تجرد وإخلاص ، مؤمناً بأن العمل شرف وجهاد ، بل كل عمل المؤمن عبادة متى كان خالصاً لوجهه الكريم ، ومن ثم أوجب على كل مسلم ألا يترك العمل إلا عند الضرورة أو العجز ، فلا يأكل إلا من عمل يده ، إلا في حالة العجز أو الضرورة ، ولهذا قال الرسول ﷺ «لئن يحطب أحدكم فيأكل من عمل يده خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو لم يعطوه» وقال : «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم» وقال «اليد العليا خير من اليد السفلى» .

وعلى الرغم من عناية الإسلام ببيان ذلك السؤال وتحقيقه في نظر المسلمين فإنه كان في الجانب الآخر بحث على الانفاق والعطاء عبر الصدقات والزكوات ، ويدعو إلى تكافل الأمة ومستولية بعضها عن

أين تكون ؟ وماذا تعمل ؟ ولا ينبغي أن يسأل عن كيفية الميزان ، ولا كيفية الوزن . ولا عن الوزن ، ولا عن أرض الجنة ، ولا عن سمائها ، وما إلى ذلك مما شغل به المسلمون أنفسهم ، وملاً كثير من علمائهم به كتبهم ، وصرفوا به الناس عن معرفة الخير وعمل الخير» (٢٨) .

فلو عني علماء المسلمين وحكامهم بالجوانب العملية وأصبحوا قدوةً لأتباعهم لتحققت العزة للمسلمين بأيسر طريق ، إذ سيدركون جميعاً وقتذاك أهمية أشياء كثيرة ذات تأثير كبير في حياتهم وتوجيه مسارها ، أقرب تلك الأشياء إدراك الجوانب العملية من ارتفاع المآذن وارتفاع صوت الأذان بالنداء قبل كل صلاة ، فيتعلم كل مؤمن رفع الصوت في قول الحق ، ويتعلم كيف يرفض الضيم ويرفض الظلم ولا يحنى رأسه لغير الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولا يستسلم للضميم والظلم من أعداء الأمة والدين ، لكنه يدفع الظلم ويغير المنكر بيده إن استطاع ، وإلا فبلسانه وقلبه ، ولو على سبيل التردد والتذكير بقول الله عز وجل : ﴿ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾ (٢٩) ثم التردد لقول الشاعر الذي احتج على المستعمر الأجنبي قائلاً :

كسروا الأفلام هل تكسيرها	يمنع الأيدي أن تنقش صخرا ؟
قطّعوا الأيدي هل تقطيعها	يمنع الأعين أن تنظر شزرا ؟
اطفئوا الأعين هل اطفأوها	يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا ؟
أحمدوا الأنفاس هذا جهدكم	وبه منجأتنا منكم فشكرا ؟

(٢٨) الشيخ علي الطنطاوي - تعريف عام بالإسلام .

(٢٩) النساء : ١٠٤ .

ولم يقف الأمر عند الجانب المظهرى الشكلى المتمثل فى الكثرة العددية للمتآخين والمتراطين برابطة أقوى من رابطة الدم والقبيلة ، إنما تعداه إلى تبديل المفاهيم وتغيير التصورات فى أدق الأشياء وأهمها .

من ذلك مثلاً أن الميراث كان محصوراً فى ذوى القرابة والرحم ، ثم صار ميراث الأنصارى يؤول بعد وفاته إلى أخيه المهاجر بدلاً من ذوى رَحِمَتِهِ من الأخوة والأبناء والنساء ، واستمر الأمر كذلك حتى موقعة بدر التى انتصر فيها المسلمون نصراً مؤزراً فأنزل الله تبارك وتعالى قوله : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤٨) .

فعاد التوارث سيرته الأولى بعد أن زالت دواعى الارث بالحلف والاخاء ، إذ نسخ ذلك الحكم وأزيل بهذه الآية ، نَسَخَهُ اللهُ سبحانه وتعالى الذى أحاط بكل شىء علماً ، والذى تقصر العقول البشرية عن ادراك كثير من جوانب حكمه التشريعية ، «وكل ما شرعه الله حكمة وصواب وصلاح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» (٤٩) .

ألم يكن هذا إرساء لقواعد العدالة الاجتماعية ؟ بلى ، إنه تجربة رائدة فى مجال العدل الاجتماعى ، وضع أسسها وقواعدها الرسول ﷺ ، فأكد مرونة الإسلام وقدرته على علاج أقوى وأعصى المشاكل ..

وقد يقال أن هذا العمل كانت له آثار جانبية سيئة ، ولكن التاريخ يرد على هؤلاء المغرضين بأن الواقع المعاش وقتذاك بنى هذا الزعم ، ذلك لأن المهاجرين قد قابلوا إيثار اخوانهم الأنصار

(٤٨) الأنفال : ٧٥ .

(٤٩) محمد على الصابونى - صفوة التفاسير - ١٧/١ .

أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»^(٢٥) فالإيمان بجميع الرسل شرط صحة الإيمان في الإسلام .

(ب) عموم رسالة محمد ﷺ :

جميع الرسل الذين أوحى الله إليهم بشرعه وعهد إليهم بأبلاغه البشر تنطبق عليهم صفات البشر ، لكنهم أفضل البشر واكملهم ، لعصمتهم وتشريفهم بالرسالة ، وقد بعث كل منهم في أمته ، وأوفى كل منهم شريعة تناسب زمان ومكان أمته ، باستثناء نبينا محمد ﷺ ؛ إذ لم تكن شريعته موقوتة بزمان أو مكان ، إنها كانت للبشرية كلها أينما كانوا وفي أى زمان وجدوا .

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة ببيان بعثة رسل الله السابقين وتوضيح حقيقة ما كلّفوا به ، من ذلك قوله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(٢٥) وقوله : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾^(٢٦) .

(ج) تفضيل محمد وأمته :

قلنا إن شريعة كل رسول كانت موقوتة بزمان ومكان أمته

(٢٥) آل عمران : ٨٤ .

(٢٥) الحديد : ٢٥ .

(٢٦) النساء : ١٦٣ - ١٦٥ .

الآخر ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ، وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا ممّا رزقهم الله وكان الله بهم عليماً» (٥١) .

لقد ربطت هذه الآيات بين عبادة الله وبين الإحسان المستمر بالطوائف التي ذكرت في الآية خاصة من ذكروا أولاً وهم الوالدان ، وقلنا بالطوائف ولم نقل على الطوائف تمثيلاً مع أسلوب القرآن الكريم الذي أثر في هذا المقام استعمال «الباء» ، ولم يكن استعماله اعتباراً أو حلية لفظية ، ولكن ليؤكد ضرورة أن يتصل البر والاحسان بمن ذكروا اتصالاً قوياً دون حاجز أو فاصل ، كان ذلك الحاجز مادياً أو معنوياً ...

ونعني بالحاجز المادى القاء ذلك الاحسان من عل ونشره على الأرض هنا وهناك كما يُلقى العشب أو العلف في حظيرة الدواب ، ونقصد بالحاجز المعنوى الرياء والمن الذى يجعل المحسن إليه يتباعد ويكره مثل هذا الإحسان .

فالحاجز المادى أو المعنوى كلاهما ضار مؤذ بالمحسن إليه ولا يتناسب مع القرب أو الالتصاق الذى فهم من الآية باستعمال الباء . ويلاحظ أنّ الآية قد ركّزت على قطاعات المجتمع المختلفة بدءاً بعماد الأسرة وهو الأب ، والأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع . وقد جعل القرآن الكريم الانفاق في كل أوجه الخير وسيلة لتزكية النفوس وتنمية الأموال : ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصل﴾ « كما بين أن سعى الناس مختلف في حقيقته ، مختلف في بواعثه ودوافعه ، ومن ثمّ فهو مختلف في نتائجه وثمرته ، أو ما يترتب عليه من ثواب أو عقاب ، وما ذاك إلا لأن القرآن الكريم يريد

(٥١) النساء : ٣٦ - ٣٩ .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

العيش وضمان الحياة الكريمة له ولأسرته وهذا ما نميل إليه .
 بهذا أو ذلك سيزول شبح الفقر عن مجتمع المسلمين - لا
 محالة - لا سيما وأن الفقر أمر طارئ عارض شأنه شأن المرض الذي
 يزول - بإذن الله - بالعلاج والدواء ، ويستوطن ويفتك بالاهمال
 والتغافل ، هذا وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه أخبر عن زمن
 يستغنى فيه الناس عن الصدقة ، وذلك فيما روى عن أبي موسى
 الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال :
**«ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب
 ثم لا يجد أحداً يأخذها منه» .**

نعم سيتحقق هذا إذا أخذ الناس بصرف الزكاة على الفقراء بناء
 على الرأي القائل بالفقر ما يكفيه لمدة عام أو اعطائه التأهيل
 والأدوات الانتاجية ؛ إذ سيتمكن من استثمار ذلك ، وقد يوفق
 فيصبح غنياً مخرجاً للزكاة ، ومن ثم كان تفضيلنا وترجيحنا لهذا
 الرأي ، لا سيما وأن القول باعطائه قوت ليلة أو ليل يظهر فيه عدم
 اتاحة الفرصة أمام الفقير ليستثمر شيئاً ليصبح منتجاً معطياً ، لكنه
 يظل مستهلكاً لاهناً وراء تغطية الديون أو تغطية المصروفات
 الضرورية ، ومن ثم يبقى متزيقاً أخبار مخرجى الزكاة ، أو يبقى ماداً
 يده في الطرق والمساجد .

وما ذاك إلا لغية بيت مال المسلمين الذي سيعنى بتخصيص
 ديوان للزكاة تكون مهمته جمع الزكوات وإعداد الدراسات
 العاجلة الوافية عن فقراء البلدة المسلمة ثم إعطاؤهم ما يكفيهم أو
 يزيل عنهم شبح الفقر لكيلا يترددوا على بيت المال أو ديوان الزكاة
 كل شهر وكل عام ، لأن مثل هذا التردد يتنافى مع روح الإسلام
 الذي يبغض الفقر ويسعى للقضاء عليه من ساحة المجتمع المسلم

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

بغية تأكيد هذه الحقيقة « حقيقة أن الغنى وحده لا يحل مشكلات المجتمع ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ وَاذْلَنَاهُمْ بِجَنَّاتِهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سَدْرٍ قَلِيلٍ ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ ﴾ (٥٥) .

ذلك أن قوم سبأ قد كفروا بأنعم الله فخرب الله ملكهم وشتت شملهم فكانوا عبرة لمن يعتبر ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيته عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ لَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ (٥٦) أى جعل الله الأرض تغور به ويكنوزه جزاء تكبره ، وبقيت قصته عظة وعبرة للمعتبرين .

(٥٥) سورة سبأ : ١٥ - ١٧ .

(٥٦) سورة القصص : ٧٦ - ٨١ .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

والاعتداء على أسرة وعشيرة الجاني ، أو أصدقائه وزملائه ، ولكنه ضَمِنَ إلى جانب ذلك - عدم ظلم هذا الجاني نفسه فرداً كان أم هيئة جماعية ، وذلك حينما قرر مبدأ اعلام الناس أو المواطنين بكنهه القاعدة القانونية قبل تطبيقها عليهم ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ (٥٩) أى أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه قد أرسل شاهدأ على أمته وعلى جميع الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوهم رسالة ربهم « وتبلغ الرسالة هو إعلام بما للإنسان وما عليه تجاه ربه ، وبمستوجبات الثواب والعقاب الدنيوى أو الأخرى ، ومستوجبات الثواب والعقاب هى التى تُطلق عليها كلمة (القاعدة القانونية) .

ولا أحد من المسلمين ينكر إعلامه بالقواعد التى بموجبها يتم الثواب أو العقاب طالما أن النبى ﷺ - وهو السراج الوضوء الذى بدد الله به ظلمات الضلال - قد بين ذلك بأقواله وأفعاله وتقريراته ، وقال : «تركتم فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً ، وطالما كان المسلم يتمسك بالقرآن والسنة » ويتلو القرآن دوماً تلاوة تأمل وتدبر ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ .

ولمَّا كانت الجريمة الجنائية مسئولية فردية لا تتعدى الجاني إلى غيره لأى سبب غير ملاسبات الاشتراك والتواطؤ والتدبير كان لا بد للشرعة الإسلامية من وضع الاعتبار الكافى لموانع المسئولية ، فرفعت أو اسقطت العقوبة فى حال وجود مانع من موانع المسئولية ، مثل : صغر السن . (عدم التكليف) ، الاكراه ، الخطأ « الجنون ، النسيان ، قال صلوات الله وسلامه عليه : «رفع

(٥٩) الأحزاب : ٤٥ - ٤٧ .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

منها مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين» (٦٠)

أما العقوبة الأدبية فقد تمثلت في حرمان الزاني والزانية من التزاوج من الأسر المؤمنة الشريفة « يشير إلى هذا قول الله عز وجل : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾ (٦١)

وما ذاك إلا من أجل صيانة كرامة الإنسان وحماية لبنات المجتمع المسلم من عوامل التصدع والانحيار ، ولا غبن ولا ظلم في هذا على الجاني الزاني ، لأنه أعلم بقاعدة العقوبة قبل تطبيق العقوبة عليه ، ولأنه لا يعاقب حتى تثبت إدانته ثبوتاً قطعياً وليس ظنياً أو راجحاً ، وإلا اعتبر توجيه التهمة إليه اعتداء على عرضه عن طريق القذف ، قال تعالى : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ (٦٢) .

إذا كان الزاني قد وضعت له عقوبتان : مادية وأدبية ، فالقاذف بالزنا وضعت له ثلاث عقوبات :

- ١ - أن يجلد ثمانين جلدة .
- ٢ - أن تُردَّ شهادته أبداً .
- ٣ - أن يكون فاسقاً ليس يعدل ، لا عند الله ولا عند الناس (٦٣) .

(٦٠) النور : ١ - ٢ .

(٦١) النور : ٣ .

(٦٢) النور : ٤ - ٥ .

(٦٣) ابن كثير - مختصر تفسير ابن كثير ٥٨٣/٢ .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

الكرم ، وقد ركزها في الموضوعات التالية :

(أ) العقيدة . (ب) التشريع . (ج) الأخلاق والمبادئ .

وقد تحدث عن كل جانب من هذه الجوانب حديثاً صافياً وافياً ، نأخذ منه قياسات في جانبي : التشريع ، والأخلاق والمبادئ ، حيث قال عن النزعة الإنسانية في جانب التشريع :

«إذا أمنت النظر وجدت قانون كل أمة ودولة أو جماعة من الناس ، إنما يعكس طبيعتها وأعراقها ويتجاوب مع ظروفها ، فشرعة كل أمة إذاً تعبيرٌ عن حاجتها ومتطلباتها فقط ، دون نظر إلى ما وراء حدودها .

غير أن التشريع القرآني لا نجد فيه أيّ متزعٍ إلى عرق أو طائفة أو جماعة » وإنما هو ينبثق عن أسس ومبادئ إنسانية مطلقة بحيث تأتي عامة فروعه متطابقة معها في دقة وإطراد .

ولنضرب أمثلة لايضاح هذه الحقيقة :

سورة النساء ، من السور التي تفيض بالأحكام التشريعية المتعلقة بتنظيم الأسرة وحقوق المرأة ، ونظام الحكم ، وتقويم العدالة وضبط حقيقتها .

فانظر كيف بدأت هذه السورة بوضع الركيزة الأساسية لتلك الأحكام كلها ، وكيف لفتت أنظار الذين سينصتون إلى هذه الأحكام التالية ، إذ أن المنطلق إلى تقريرها ووجوب الأخذ بها إنما هو النظر إلى مصلحة الأسرة الإنسانية المطلقة دون التفات إلى الظروف المتنوعة والمختلفة للبيئات والجماعات ، وهذه هي الركيزة الأساسية : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (٦٥) .

(٦٥) د . محمد سعيد رمضان البوطي - من روائع القرآن ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

خاتمة

حاجتنا إلى تعميق العقيدة

١ - تعميق العقيدة يرأب الصدع ويدعم وحدة الأمة :

هل الدعوة في هذا الزمان بحاجة ماسة إلى تنظير وتصنيف لأفكار وآراء ؟ أم هي بحاجة إلى العمل الدؤوب في مجال تعميق العقيدة وتركيزها في النفوس ؟

أحسب أن الآراء قد كثرت وانتشرت في بيئاتنا الإسلامية وبين العاملين في حقل الدعوة إلى الله على مختلف مستوياتهم ، في الوقت الذي بدأت فيه العقيدة تهتز عند كثير من شبابنا وبعض شيوخنا ، بل أخذت تتناقص وتتوارى في كثير من البلدان الإسلامية .

ومن ثم أقول لا قيمة للرأى أو الفكر ما لم تدعمه العقيدة ، وقلاً تؤتي أمة من نقص في الرأى أو الفكر ، ولكن أكثر ما تؤتي من ضعف في العقيدة ، وأكثر ما تؤتي من كثرة الآراء المتضاربة ، أو غير المتآزرة ..

وأعتقد أن الآراء - في معظم بيئاتنا الإسلامية - قد كثرت وتضاربت ، والعقيدة اهتزت وتناقصت ، ولا أعنى بالعقيدة هنا مجرد الإيمان الظاهري ، ولكن عنيت الإيمان المتعمق في النفس والمترجم بالعمل ، غير الصدق في القول والعمل ، مع النفس والغير ، وغير الأمانة في الدين والمال والعرض ، مع النفس والغير ، وغير كل أنواع العمل الصالح ...

فهذا هو الإيمان الحق ، وهو الذى ذكره المولى عز وجل في القرآن الكريم ونعته بالصدق حيث قال : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

البحث ، ومن ثم نشير إلى أن سيرة رسولنا ﷺ كانت تجربة غنيّة بأحداثها ، زاخرة بدلالاتها ، متنوعة بمعطياتها ،^(٢) ويجب أن نستمد منها النور لدرينا والأمل لحياتنا ، لا سيما في مجال تحمّل المكاره والصّبر على الشدائد ، وتحمّل أذى المؤذنين في سبيل العقيدة بكياسة وفطانة ، لا تحمّل جزع وفزع ، أو خنوع واستكانة ، وقد عنى القرآن الكريم بتعميق العقيدة وتركيزها ، مفرداً لذلك سوراً بأكملها من طوال السور ، مثل سورة الأنعام ، ومن قصار السور ، مثل سورتي الاخلاص والكافرون ، وغيرهما من السور التي اشتملت على آيات كانت تستهدف تعميق العقيدة وتأصيلها في النفوس ، بغية إصلاح النفوس ذاتها ، قال تعالى : ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٣) وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ إِنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ، أُولَٰئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٤) وقال : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾^(٥) هذه الآيات - في مجملها تدعو إلى الإيمان والتوحيد الخالص ، وتشير إلى أن الإيمان بالآخرة يجعل المؤمن يتحمّل أو يقوى على تحمّل المكاره ومغالبة الشدائد مضحياً بماله ونفسه في سبيل الله ، وفي سبيل الحق ، دون اكتراث لما

(٢) انظر :

١ - سيرة الرسول : صور مقتبسة من القرآن الكريم - محمد عزة دروزه .

٢ - تهذيب سيرة ابن هشام - عبدالسلام هارون .

(٣) النحل : ٢٢ .

(٤) المؤمنون : ٥٧ - ٦١ .

(٥) المؤمنون : ٧٤ .

يحدث له في الدنيا ، وذلك إيماناً منه بأن الدنيا زائلة لا محالة ، طال أو لم يطل البقاء فيها ، وأنه سيلقى ربه وسيجزيه الجزاء الأوفى ، وقد تأكد هذا الجزاء بقول الله عز وجل :

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ، وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ، وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾^(٦) نجد في هذه الآيات صورتين متعاكستين ، وهما معا تساعدان على تصحيح العقيدة وثبيتها في النفس ، إن كانت النفس خالية منها ، أو تعميقها وتركيزها في نفوس المؤمنين بعقيدة الإسلام لله تبارك وتعالى .

الصورة الأولى هي صورة أشقى الأشقياء في عباد الله ، ترى من يكون أشقى أشقياء عباد الله ؟ هو كل من كذَّب وأعرض عن دعوة التوحيد ، إذ يكون بذلك قد أعرض وتولى عن الهدى ، وعن دعوة الله إلى الهداية .

الصورة الثانية صورة الأسعد بين عباد الله ، ترى من يكون هذا الأسعد ؟ هو - كما أخبرت السورة - الأتقى الذي يؤتي ماله تطهيراً وابتغاءً وجه ربه الأعلى : «هو التقي النقيُّ المبالغ في اجتناب الشرك والمعاصي ، ثم فسره تعالى بقوله : ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أي الذي ينفق ماله في وجوه الخير ليزكي نفسه ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي وليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها ، وإنما لوجه الله ، قال المفسرون : نزلت الآيات في حق أبي بكر الصديق حين اشترى بلالاً وأعتقه في سبيل الله ، فقال المشركون : إنما فعل ذلك لِيَدِّ كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ فَتَزَلَتْ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ

(٦) الليل : ١٤ - ٢١ .

وجه ربّه **الأعلى** ﴿ أى ليس له غاية إلا مرضاة الله ﴾ **ولسوف** يرضى ﴿ أى ولسوف يعطيه الله فى الآخرة ما يرضيه وهو وعدٌ كريم من رب رحيم ﴾ (٧) .

هذا الاتقى الذى وعد بالنعيم المقيم فى دار النعيم هو واحد من أصحاب العقيدة الصحيحة القوة المتأصلة ، وهو واحد من أولئك الذين وصفتهم الآيات ٥٧ - ٦١ من سورة «المؤمنين» ، هو كل مؤمن انطبقت عليه أوصاف آيات سورة المؤمنون أو أوصاف سورة «الليل» ، وليس وفقاً على أنى بكر الصديق وحده ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ ذلك لأن كل من استحق صفة «اتقى» فهو جامع - دون رب - للصفات الأربع الواردة فى سورة (المؤمنون) أو هو داخل - دون رب - ضمن من وصفوا بأنهم : من جلال الله وعظمته خائفون ، ومن خوف عذابه حذرون ، وأنهم يصدقون بآيات الله القرآنية وآياته الكونية ، وهى الدلائل والبراهين الدالة على وجوده ، وأنهم لا يعبدون معه غيره ، بل يوحّدونه ويخلصون العمل لوجهه ، قال الإمام الفخر : (وليس المراد منه الإيمان بالتوحيد ونفى الشريك فإن ذلك داخل فى الآية السابقة ، بل المراد منه نفى الشرك الخفى وذلك بأن يخلص فى العبادة لوجه الله وطلباً لرضوانه) وأنهم يتقربون بأنواع القربات من أفعال الخير والبر وهم يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم ، وأنهم لخوفهم أن يكونوا قد قصّروا فى القيام بشروط الطاعات والأعمال الصالحة ، ولاعتقادهم أنهم سيرجعون إلى ربهم للحساب ، روى أن عائشة سألت رسول الله ﷺ عن الآية الكريمة فقالت : ﴿والذين يؤتون

(٧) محمد على الصابونى - صفوة التفاسير ج ٣ ص ٥٧٠ .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

لأنها مقررة ثابتة ، أو لأنها معلومة من الدين بالضرورة .
وينبغي ألا يفهم من هذا أن المسائل الاجتهادية يجوز التفرق فيها ، كلا ثم كلا ، ولكن يجوز فيها الاجتهاد الذي قد يؤدي بالضرورة إلى الاختلاف في الفهم ، وكلما كانت العقيدة قوية متأصلة ، والنفوس مشرقة وضاءة ومشربة إلى الجزاء الأوفى كلما كان الاختلاف في الفهم عاملاً من عوامل إثراء الفكر وتصحيح المسار .

أما حينما نضمحل العقيدة وتظلم النفوس يصبح الاختلاف في الفهم سبيلاً للتناحر والتدابير ، وذلك تلبية لروح العصبية المذهبية ، أو استجابة لعاطفة الغرور والاعجاب بالنفس في لحظة من لحظات الضعف الإنساني .

هذا وقد كاد الاختلاف في الفهم للمسائل الاجتهادية الدينية والدينية يفت في عضد المسلمين في شتى بقاعهم ، إلى جانب الشطحات التي وقع فيها بعضهم بالخوض في مسائل لا يجوز الخوض فيها ، لأنها ليست من المسائل الاجتهادية ، ونعتقد أن مرد ذلك كله إلى ضعف العقيدة ، وعدم الاستفادة من توجيهات القرآن الكريم ، ومن دروس التاريخ وعبره وعظاته ، تلك العظات التي ذكرها القرآن الكريم في مواضع شتى ، من ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الدِّينَ قُرْآنُ دِينِهِمْ وَكَانُوا شِيعاً لست منهم في شيء ﴾ لم يلتفت المتدبرون المتناحرون من المسلمين إلى ما تشير إليه هذه الآية كي يتقوا الهلاك الذي أصاب من كانوا مقصودين بالآية الكريمة ، وهم المشركون الذين كانت تمزقهم أوهام الجاهلية وتقاليدها شيعاً وأحزاباً ، ثم اليهود والنصارى ممن قسمتهم الخلافات المذهبية ملأاً ونحلاً .

يحدث له في الدنيا ، وذلك إيماناً منه بأن الدنيا زائلة لا محالة ، طال أو لم يطل البقاء فيها ، وأنه سيلقى ربه وسيجزيه الجزاء الأوفى ، وقد تأكد هذا الجزاء بقول الله عز وجل :

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ، وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ، وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾^(٦) نجد في هذه الآيات صورتين متعاكستين ، وهما معا تساعدان على تصحيح العقيدة وثبيتها في النفس ، إن كانت النفس خالية منها ، أو تعميقها وتركيزها في نفوس المؤمنين بعقيدة الإسلام لله تبارك وتعالى .

الصورة الأولى هي صورة أشقى الأشقياء في عباد الله ، ترى من يكون أشقى أشقياء عباد الله ؟ هو كل من كذَّب وأعرض عن دعوة التوحيد ، إذ يكون بذلك قد أعرض وتولى عن الهدى ، وعن دعوة الله إلى الهداية .

الصورة الثانية صورة الأسعد بين عباد الله ، ترى من يكون هذا الأسعد ؟ هو - كما أخبرت السورة - الأتقى الذي يؤتي ماله تطهيراً وابتغاءً وجه ربه الأعلى : «هو التقي النقيُّ المبالغ في اجتناب الشرك والمعاصي ، ثم فسره تعالى بقوله : ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أي الذي ينفق ماله في وجوه الخير ليزكي نفسه ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي وليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها ، وإنما لوجه الله ، قال المفسرون : نزلت الآيات في حق أبي بكر الصديق حين اشترى بلالاً وأعتقه في سبيل الله ، فقال المشركون : إنما فعل ذلك لِيَدِّ كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ فَتَزَلَتْ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ

(٦) الليل : ١٤ - ٢١ .

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف .
- ٢ - ابن تيمية - الفتاوى - المجلد الثانى والخامس .
- ٣ - ابن تيمية - الاكليل فى المتشابه والتنزيل - المطبعة العامرة الشرقية القاهرة سنة ١٣٢٣ .
- ٤ - ابن تيمية - مقدمة فى أصول التفسير - دار القرآن - الكويت .
- ٥ - ابن تيمية - منهاج السنة النبوية - المطبعة الأميرية - القاهرة .
- ٦ - ابن حجر العسقلانى - الاصابة فى تمييز الصحابة - المطبعة الشرقية القاهرة ١٩٠٧ م .
- ٧ - ابن حجر العسقلانى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة - الهند ١٣٤٨ هـ .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

- ٢١ - سيد قطب - كتب وشخصيات ط - دار الشروق - بيروت
١٩٨٢ م .
- ٢٢ - السيوطي - معترك الاقران في إعجاز القرآن - دار الفكر
العربي ١٩٦٩ م .
- ٢٣ - صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن - ط الجامعة
السورية - دمشق ١٩٥٨ م .
- ٢٤ - صالح بن إبراهيم البليهد - الهدى والبيان في أسماء القرآن - ط
الرياض .
- ٢٥ - عبدالله كنون - الرد القرآني على كتيب : هل يمكن الاعتقاد
بالقرآن .
- ٢٦ - عبد الصبور شاهين - تاريخ القرآن - دار الكاتب العربي -
القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٧ - علي الطنطاوي - تعريف عام بدين الاسلام - ط مؤسسة
الرسالة بيروت الطبعة التاسعة .
- ٢٨ - فخر الدين الرازي - التفسير الكبير أو مقاتيح الغيب - ط
المطبعة البهية - القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٢٩ - فيليب دي طرازي - مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق
(مج) ١٩٤٤/١٩ م .
- ٣٠ - القرطبي - تفسير القرطبي .
- ٣١ - محمد بن بهادر الزركشي - البرهان في علوم القرآن - دار
احياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٣٢ - محمد الباقلاني - اعجاز القرآن - ط دار المعارف بمصر .
- ٣٣ - محمد البيلاوي - التعريف بالنبي والقرآن الشريف - ط دار
الكتب المصرية سنة ١٩٢٧ م .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسانُ الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

- ٤٧ - محمد كامل حسن - القرآن والقصة الحديثة - دار البحوث العلمية - بيروت ١٩٧٠ م .
- ٤٨ - محمود الألوسي - روح المعاني - ط المطابع المنيرية - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٤٥ هـ .
- ٤٩ - مصطفى صادق الرافعي - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية - المكتبة التجارية القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٥٠ - مصطفى محمود - القرآن (محاولة لفهم عصري للقرآن) دار الشروق بيروت ١٩٧٠ م .
- ٥١ - مصطفى المراغي - الدروس الدينية - مطبعة الأزهر سنة ١٣٥٦ هـ .
- ٥٢ - يعقوب يوسف - لفتات علمية في القرآن - دار العباد بيروت ١٩٥٩ م .
- ٥٣ - ياقوت الحمودي - معجم البلدان .

للمسلمين أجمعين حياة طيبة كريمة نظيفة شريفة ، ولهذا شرعت الزكوات وفعل الخيرات لما لها من آثار طيبة في نفوس المعطين والمستفيدين ، وفي المجتمع بأسره ، وذلك بإزالة شبح البلاء والمصيبة الكبرى وهي الفقر ، ذلك الفقر الذي تعوذ منه الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر» .

تحقيقاً لذلك المبدأ ، مبدأ الحياة الكريمة الفاضلة الشريفة في جميع المجتمعات الإسلامية - في أى زمان ومكان - كانت اجتهادات قدامى فقهاء المسلمين والمحدثين منهم حول ما تساهم به الزكاة في علاج الفقر ودفع العوز والحاجة ، فذهب الامام أبوحنيفة إلى عدم قصر الاعطاء من الزكاة على المحتاج فقط ، إنما يعطى ويعطى كل فرد من أفراد عائلته دفعاً للعوز والحاجة ومنعاً للفقر القتال ، وذهب الامام مالك إلى اعطاء المحتاج فقط ، ولكن يُعطى ما يكفيه لمدة عام ، وهكذا ذهب جمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، أما الامام الشافعى فقد ذهب إلى القول بإعطاء الفقير والمسكين كفاية عمره .

وقد نحا الدكتور القرضاوى وغيره من الفقهاء المحدثين هذا المنحى في البحث عن أهمية الزكاة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ، والبحث عن أنجح السبل لإزالة الفقر عن مجتمع المسلمين ومحوه عنهم كما يحو لسان الصبح مداد الظلام ، فظهر من يدعو إلى اعطاء الفقير المواد الغذائية أو الاستهلاكية لمدة عام ، ومن يدعو إلى إعطاء الفقير التأهيل الفنى والأدوات الانتاجية التى تعينه على كسب

صدر من هذه السلسلة

- | | | | |
|------|---|-------|-----------------------------|
| ١ — | تأملات في سورة الفاتحة | -- | الدكتور حسن باجودة |
| ٢ — | الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه | | الأستاذ احمد محمد جمال |
| ٣ — | الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين | | الأستاذ نذير حمدان |
| ٤ — | الاسلام الفاتح | | الدكتور حسين مؤنس |
| ٥ — | وسائل مقاومة الغزو الفكري | | الدكتور حسان محمد مرزوق |
| ٦ — | السيرة النبوية في القرآن | | الدكتور عبد الصبور مرزوق |
| ٧ — | التخطيط للدعوة الاسلامية | | الدكتور محمد علي جريشة |
| ٨ — | صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية | | الدكتور أحمد السيد دراج |
| ٩ — | التوعية الشاملة في الحج | | الأستاذ عبد الله بوقس |
| ١٠ — | الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره | | الدكتور عباس حسن محمد |
| ١١ — | لمحات نفسية في القرآن الكريم | | د. عبد الحميد محمد الهاشمي |
| ١٢ — | السنة في مواجهة الأباطيل | | الأستاذ محمد طاهر حكيم |
| ١٣ — | مولود على الفطرة | | الأستاذ حسين احمد حسون |
| ١٤ — | دور المسجد في الاسلام | | الأستاذ محمد علي مختار |
| ١٥ — | تاريخ القرآن الكريم | | الدكتور محمد سالم محيسن |
| ١٦ — | البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام | | الأستاذ محمد محمود فرغلي |
| ١٧ — | حقوق المرأة في الاسلام | | الدكتور محمد الصادق عفيفي |
| ١٨ — | القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١] | | الأستاذ احمد محمد جمال |
| ١٩ — | القراءات أحكامها ومصادرها | | الدكتور شعيبان محمد اسماعيل |
| ٢٠ — | المعاملات في الشريعة الاسلامية | | الدكتور عبد الستار السعيد |
| ٢١ — | الزكاة فلسفتها وأحكامها | | الدكتور علي محمد العماري |
| ٢٢ — | حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم | | الدكتور أبو اليزيد العجمي |
| ٢٣ — | الاقليات المسلمة في آسيا وأستراليا | | الأستاذ سيد عبد المجيد بكر |
| ٢٤ — | الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر | | الدكتور عدنان محمد وزان |
| ٢٥ — | الاسلام والحركات الهدامة | | معالي عبد الحميد حمودة |

٢٦- تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧- مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	الدكتور محمد شوقي الفنجري
٢٨- وحي الله -	الدكتور حسن ضياء الدين عتر
٢٩- حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠- المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار
٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣٢- الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج	الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣- الاعلام في المجتمع الاسلامي	الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤- الالتزام الديني منهج وسط	عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني
٣٥- التربية النفسية في المنهج الاسلامي	الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦- الاسلام والعلاقات الدولية	الدكتور محمد الصادق عفيفي
٣٧- العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨- معاني الأخوة في الاسلام ومقاصدها	الدكتور محمود محمد بابلي
٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	الدكتور علي محمد نصر
٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين	الدكتور محمد رفعت العوضي
٤١- المفاهيم الاقتصادية في الاسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥- الطريق إلى النصر	الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦- الاسلام دعوة حق	الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧- الاسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨- دحض مفتريات	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩- المجاهدون في فطاني	الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠- معجزة خلق الانسان	الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية	الدكتور سيد عبد الحميد مرسي
٥٢- ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي	الأستاذ أنور الجندي
٥٣- الشورى سلوك والتزام	الدكتور محمد أحمد البابلي
٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة	آسماء عمر فدعق
٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة	الدكتور أحمد محمد الخراط

الاستاذ أحمد محمد جمال	٥٦ - القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]
الشيخ عبد الرحمن خلف	٥٧ - كيف تكون خطيباً
الشيخ حسن خالد	٥٨ - الزواج بغير المسلمين
محمد قطب عبد العال	٥٩ - نظرات في قصص القرآن
الدكتور السيد رزق الطويل	٦٠ - اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات
الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي	٦١ - بين علم آدم والعلم الحديث
الدكتور محمد الصادق عفيفي	٦٢ - المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان
الدكتور رفعت العوضي	٦٣ - من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]
الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة	٦٤ - تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد
الشهيد أحمد سامي عبد الله	٦٥ - لماذا وكيف أسلمت [١]
الأستاذ عبد الغفور عطار	٦٦ - أصلح الأديان عقيدة وشريعة
الأستاذ أحمد المخزنجي	٦٧ - العدل والتسامح الاسلامي
الأستاذ أحمد محمد جمال	٦٨ - القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	٦٩ - الحريات والحقوق الاسلامية
الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان	٧٠ - الانسان الروح والعقل والنفس
الدكتور شوقي بشير	٧١ - كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية
الشيخ محمد سويد	٧٢ - الاسلام وغزو القضاء
الدكتورة عصمة الدين كركر	٧٣ - تأملات قرآنية
الأستاذ أبو اسلام أحمد عبد الله	٧٤ - الماسونية سرطان الأمم
الأستاذ سعد صادق محمد	٧٥ - المرأة بين الجاهلية والاسلام
الدكتور علي محمد نصر	٧٦ - استخلاف آدم عليه السلام
محمد قطب عبد العال	٧٧ - نظرات في قصص القرآن [٢]
الشهيد أحمد سامي عبد الله	٧٨ - لماذا وكيف أسلمت [٢]
الأستاذ سراج محمد وزان	٧٩ - كيف ندرس القرآن لأبنائنا
الشيخ أبو الحسن الندوي	٨٠ - الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ
الأستاذ عيسى العرباوي	٨١ - كيف بدأ الخلق
الأستاذ أحمد محمد جمال	٨٢ - خطوات على طريق الدعوة
الأستاذ صالح محمد جمال	٨٣ - المرأة المسلمة بين نظرتين
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	٨٤ - المبادئ الاجتماعية في الاسلام
د. ابراهيم حمدان علي	٨٥ - التآمر الصهيوني الصليبي على الاسلام
د. عبد الله محمد سعيد	٨٦ - الحقوق المتقابلة

٨٧ — من حديث القرآن عن الانسان ----- د. علي محمد حسن العمري

طبع مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة